17 eme Année No. 838 — Lundi — 25 — 7 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٦٨ — ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

١٢ ــ أمم حـــائرة

العــــدل

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

إذا اجتمعت النفس بالإيمان ، وقويت واستنارت ، وارتقت إلى عالم المعانى ، وأنست بالمعانى الجميلة العامة ، وأحبت الوئام والسلام ، ونفرت من النزاع والخلاف ، وانطلقت من حدود الأهواء والشهوات والرغبة والرهبة والعصبية ، وعلت على الزمان والمكان — حينئذ تؤهل للحق والخير والجمال والعدل والإحسان

وإذا أهلت النفس للعدل . وسكنت إليه وآثرته كانت أهلا لأداء الأمانة التى قال فيها القرآن :

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان) .

وكانت أهلا لخلافة الله فى الأرض ، أى القيام بعدله بين خلقه ، وجهدت للارتقاء إلى منزلة العدل ، العدل المطلق ، فى الرغبة والرهبة ، والمنشط والمكره ، والرضا والغضب ، ومع القريب والبعيد ، والعدو والصديق ، فى كل حين وعلى كل حال .

العدل الذى قال فيه القرآن :

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ، ولا يَجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقربُ للتقوى)

وقال : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)

فتجعل النفس هذا العدل قصدها وغايتها ، وأملها ومُنيتها ، وتسير إليه دائبة ، وتعمل له جاهدة ، حتى تبلغه أو تقاربه ، أو تبق راغبة فيه ، سائرة إليه على قدر الطاقة ، حتى تبلغ أو تقارب أو تنقطع دونه وقد سارت إليه مراحل ، وضربت فى طريقها أمثالا وخلّفت فيه آثاراً .

بهذا العدل قامت السموات والأرض ، واستقامت الخليقه ، واتسقت أمور الأمم .

(والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألاّ تطغوْا فى الميزان ، وأقيموا الوزنَ بالقسط ولا تُخسِروا الميزان)

فإذا عدل الواحد فيما بينه وبين الناس ، وعدلت الجماعات فيما بينها ، والتزمت العدل وآثرته ومرنت عليه ودأبت ، زال البغى والعدوان والظلم والطغيان ، وكل ما يمتّ إلى هذه المعانى ، مما هو خلل فى النظام ، وميل فى الميزان وحَيْد عن الائتلاف والوئام ، ونزوع إلى الاضطراب والخصام .

وإذا زال التنافر والتنازع والتغابن فى صورها الكثيرة ، وأحوالها المختلفة ، وغلبت قوانين العدل العامة المؤلّفة الجامعة ، وأخذ الوحدان والجماعات بالحق وأعطت به ؛ وصرّفت صغار

الأمور وكبارها بالعدل ، ائتلفت الأعمال ، وانقلب البغض حباً ، والاختلاف ائتلافاً ، والخصام وداً ، والتنازع تعاوناً ، والتقاطع تعاضداً .

تعتـل الوحدان والجماعات ، وقد أخذ كل حقه وأعطى حق غيره ، وتعاونت الألسن والأيدي والقلوب على خير البشر وسعادة الناس ، وتحول هذا الجهد الدائب والعمل الناصب في تدريب الجند ، وإعداد السلاح ، وتدبير خطط القتال ، للتسلط والغصب والجور ، إلى اجتهاد في إسعاد الناس دون تفريق بين شرقي وغربي وأسود وأبيض . وانقلبت مصانع الدمار وآلات البوار مصانع للعمران وآلات لرغد العيش ، وجلب الرفاهية للناس ودفع الشر ومغالبة الفقر والمرض وما يتصل بهما من بؤس وتعاسة .

تمثل هذا ثم اعجب لهذه الإنسانية الضالة ، والبشرية الشقية تملأ الأرض والسماء عداء وقتالا ، وتشغل بالقتال والإعداد له عن خيرها وسعادتها ، ثم تحاول بعد كل معركة غسل الدماء ، وضمد الجراح ، ودفع البؤس غير آلية في الإعداد للمعركة الأخرى .

ولن يستقيم للناس العمل للخير والشر والسعادة والشقاء معاً ، لن يستقيم العمل للحرب والسلم ، والسعي للعمران والدماء سواء ؛ فإما عملوا للخير خالصاً والسعادة ، وإما عملوا للشر والتعاسة . يرجون النجاة ولا يسلكون مسالكها ، ويقصدون الخير ولا يسيرون على نهجه !

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) .

(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السموات والأرض) .

* * *

كل هذا القلق وهذا الشقاء مما حاد الناس عن العدل .

إن آفة الناس في البغي والعدوان ، وشقاؤهم في الأثرة والعصبية التي تحيد بهم عن العدل ، وتنأى بهم عن التحاب والتعاون .

* * *

وإذا تعامل الناس بالعدل بينهم ، وضعفت الأثرة أو امحت في نفوسهم ، ارتقوا من بعدُ درجات إلى الفضل في المعاملة ، والإيثار فيما بينهم . ووراء هذا درجات من السعادة لا تنتهي .

يرى كثير من الناس أن هذا خيال أو حلم ، وأن الناس لن يتعاملوا بالعدل مقيداً أو مطلقاً ، ولن يكفوا عن العدوان والبغي . ولست أذهب مذهبهم .

ففي وجدان الإنسان خير ، وفيه نزوع إلى الحق والعدل إذا أوقظت في نفسه دواعي الخير بالدعوة الصالحة ، والأسوة الحسنة ، وإذا أحيط من العلم والعمل بما يعظم رغبته في الخير ، ويصدونه عن الشر وينبه معاني الحق والعدل في وجدانه .

وإن كانت درجات العدل التي ندعو إليها أرفع من العامة ، وأعلى من الدهماء ، فليس بعيداً أن يستجيب لها في كل أمة طائفة من أولي العقل والعلم . وإذا قامت في كل أمة أئمة تدعو إلى العدل ونبغ فيها قادة تسير عليه وتعمل به وصرّفوا الأمور بالعدل المطلق وأخذوا الناس به طوعاً وكرهاً عمّت الأسوة ، وسكن الناس إليها وغلب العدل في قلوب الناس وأعمالهم ، واستقرت عليه الأمور ، وشاعت به المحبة والسلام ...

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

مصطفى كمال الزعيم التركى

بقلم الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا
للأستاذ أحمد رمزى بك

(تتمة)

وددت كثيراً لو أن ما رأيته فى المؤتمر الذى عقد بلندرة فى فبراير سنة ١٩٢١ كان كافياً ليكشف الغطاء عن أنظار أولئك السياسيين الذين أبوا أن يصغوا لأى نصيحة فيتبينوا الحقائق .

حضر إلى هذا المؤتمر وفدان تركيان ..

الأول يمثل تركيا الرسمية حكومة السلطان المعترف بها وعلى رأسه توفيق باشا ، وهو رجل طاعن فى السن محترم من الجميع تولى الصدارة العظمى عدة مرات .

والثانى وفد حكومة أنقرة برأسه وزير خارجيتها بكير سامى بك . وقد رفضت الحكومة البريطانية استقباله حتى لا يؤخذ هذا منها بأنه اعتراف رسمى بحكومة الكماليين .

ولكن كم كانت دهشة المفوضين الأوربيين الذين كانوا يؤملون رؤية أعضاء الوفدين تفرق بينهم الكراهية والبغضاء أن يجدوهم فى تآلف تام جالسين على نفس المقاعد .

وكم كان تعجبهم لدى رؤية ذلك الشيخ الوقور توفيق باشا يقف بما له من حق الرياسة على المندوبين الترك ليعطى الكلمة لبكير سامى بك رئيس وفد أنقرة الذى تكلم بالنيابة عن الوفدين

وقد أدرك بكير سامى بك قيمة النصائح التى أسداها إليه المسيو بريان رئيس الوفد الفرنسى والتى أبديتها من جهتى بالتمسك بخطة معتدلة وقدر ما يمكن أن تكسبه قضية بلاده إذا أظهر أنه أكثر رغبة من المفوضين اليونان فى قبول رأى هيئة تحكيم منصفة .

وبناء عن هذه الخطة تم قبول اقتراح التحكيم ومشروع إجراء التحقيق الدولى فى آسيا الصغرى .

وكان هذا القرار على جانب عظيم من الأهمية السياسية لما قد يأتى به من النتائج الحاسمة ولأن فى قبول دول إنجلترة وفرنسا وإيطاليا إجراء تحقيق فى الأناضول اعترافاً ضمناً من واضعى معاهدة سيفر، أنهم لم يحسنوا استقاء المعلومات الحقيقية فبنوا أعمالهم فى سياستهم الشرقية على مبادئ غير مستقيمة مع الواقع .

ولم يكن لدى الزعيم التركى ما يحمله على التشدد ، لأن كل المظاهر تدل على أنه قد اقترب من الحصول على صلح يصح أن يقبل .

* * *

ولكن لم تمض ثلاثة شهور على هذا حتى انهار كل البناء لأن حكومة أثينا رفضت الاعتراف بقرارات لجنة التحقيق ولجأت إلى تحكيم القوة .

فكانت هزائمهم لسنة ١٩٢١ التى أعقبت توغلهم فى الداخل وانتهت بتراجعهم إلى خط أفيون قره حصار وكوتاهية حيث وقفوا سنة بطولها ينتظرون ، ذلك لأن الزعيم التركى أراد لهم هذا — وقد يكون المرء فى تريثه وإمهاله لخصمه أكثر شجاعة منه فى مبادرته بالهجوم ومناجزته لعدوه .

وهكذا تحفزبهم سنة بطولها حتى أتم عدته ثم قضى عليهم بضربة كانت الأخيرة .

لأنه فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٢ هاجم أفيون قره حصار؛ وفى اليوم التالى أتم فتح الثغرة فى قلب الجيش اليونانى ، فأصدر القائد العام الجنرال تريكوبيس أمراً بالتراجع انتهى بتمزيق الجيش كله ووقوع القائد نفسه أسيراً فى يدى مفرزة من الفرسان الأتراك ، وكان ختام المارك احتلال أزمير التى دخلها الترك بعد مضى أسبوع واحد على اختراقهم الجبهة .

أعقب ذلك ضياع الملك من يدى قسطنطين ثم اجتماع مندوبى إنجلترة وفرنسا وإيطاليا فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ليوقفوا الحركات العدائية بهدنة مودانية التى اختتمت بعقدها أربع سنوات مملوءة بالأوهام والأخطاء ، والتى أرجعت لحكومة أنقرة استانبول وتراقيا الشرقية وأدخلت جيشهم إلى أوربا منتصراً تحت قيادة مصطفى كمال الذى فكر بعض عمال بريطانيا عهد بدء الاحتلال فى نفيه إلى مالطة .

* * *

وليس الغرض من سياق هذا الحديث والدخول في التفاصيل أن أشرح حوادث كنت شاهداً لها وعاملاً فيها بطبيعة المراكز التي شغلتها كمندوب سام لإيطاليا في الشرق أو وزيراً للخارجية الإيطالية في روما أو سفير لإيطاليا في باريس وقت عقد هدنة مودانيا ، وإنما قصدت أن أشير في هذه التفاصيل إلى الأسباب الخارجية الحقيقية التي سببت نجاح الزعيم التركي وساعدته على الوصول إلى هذه النتيجة .

* * *

لقد حكم الزعيم التركي بلاده منذ ذلك التاريخ كدكتاتور ، وأظهر رغبة وحماساً شديدين للتجديد والتبديل متجهاً بكليته نحو أوربا بشكل جعل مفكري الغرب ينظرون إلى هذه التغييرات بغير النظرة التي كان ينتظرها منهم ، لأن أغلبها مظهري ، ثم هي ثانوية بجانب الأعمال الضرورية الأخرى ولم تقتصر نتيجتها على إهمال التقاليد الإسلامية التي طالما استمد منها الشعب التركي قوته وجلده في القرون الماضية .

والخطأ العظيم الذي ارتكبه الزعيم في عمله الإصلاحي هو محاولة الجرى بسرعة لم يجرؤ عليها المصلحون الذين تقدموه ، ولا يبعد أن تكون وسائل الانصال الحديثة من السكك الحديدية وغيرها وما طرأ على العالم بعد الحرب العظمى قد أثرت فيه وجعلته يعتقد أن فكرة التقريب بين شعوب تختلف اختلافاً كلياً في الأفكار والعواطف أصبحت أمراً سهلا مستطاعاً في الوقت الحاضر .

ولكن هذه الإصلاحات الغربية مهما تشعبت وكثرت فلن تكوّن في يوم ما إلا دوراً ثانوياً بجانب العمل الكبير الذي قام به الزعيم كمنظم وموجد للقوة العسكرية التي كوّنها من العدم في بلاده ، ثم كمحرك لعوامل الدفاع والجهاد بين قومه ، وسيبقى اسمه كجندي ورجل من رجال الحرب يذكره التاريخ دائماً مقروناً بالحركة العظيمة التي كان على رأسها .

وقد امتاز مصطفى كمال في كل أدوار حركته الاستقلالية بتيقظه وضبطه لنفسه وطول أناته ؛ وكان في أشد الأوقات وأعصبها مالكا لحواسه شديد الحذر في تصرفاته بقدر ما كان سريع الإقدام والتنفيذ في إصلاحاته وتغييره الطربوش وأخذه بالقبعة .

ولطالما دفعه أنصاره — وفريق منهم يبطن الكيد له — إلى التعجل . فكان يأبى إلا أن يصبر الشهور الطوال وهو لايبدى نشاطاً للقتال ، بل يجمع قواته ويزيد في ممدات جيشه ، ويزن الأمور حتى يتأكد من أن كل عوامل النجاح في صفه ، ثم يوجه ضربته الأخيرة . وما إن يقذف بقواته حتى يرى أعوانه أن ذلك التباطؤ الذي طالما أخذوه عليه قد انقلب إلى دفعة ومناجزة للخصم قوية يسيرها نشاط دائم منظم لا يوقفه عائق حتى يقذف بالأعداء إلى البحر .

والذي يدهش له الإنسان أن هذه الصفات التي ملكها الزعيم التركي لم تفادره وهو في أعلى قمة مجده وعلى رأسه أكاليل النصر وطوع أمره جيش يترنح بنشوة الظفر — لأنه غداة المعارك التي اكتسحها تلاقت طلائع جيشه أمام غاليبولى بقوات بريطانية تحاول منعه من العبور إلى الشاطىء الأوربي إذ قرر لويد جرج ساعتئذ أن يوقف سيل الجيش المنتصر أمام المنطقة المحايدة المضايق ، ومعنى هذا قيام حرب جديدة .

وكان رئيس وزراء بريطانيا مصمماً على هذا الرأي على رغم مخالفة فرنسا وإيطاليا له ، بل وقبل أن يستشير رؤساء وزارات الممتلكات البريطانية الحرة — الدومنيون — قبل قذفه بالأمبراطورية في غمار حرب جديدة ، وهذه غلطة أخذها عليه السياسيون الإنجليز لمخالفتها لنصوص نظام تكوين أمبراطوريتهم .

ولكن الزعيم التركي فاز بصبره عليه إذ عرف كيف يتجنب خطر ذلك الموقف الزلق ، وكيف يدرأ عن بلاده مصيبة حرب جديدة ، وقدر على نفسه وهو في قمة مجده وبيده مقاليد رجال طوع إشارته ، فردها عن سراب الأطماع وأخضع نفسه لإرادته

ويلذ لي هنا ذكر ما كتبه تشرشل وهو الواضع مع لويد جورج أساس السياسة التي اتبعتها بريطانيا في الشرق الأدنى والمسئول معه عن نتائجها وإن كان كاتبها لم يقدر تماماً ما كان للزعيم التركي من فضل في حقنه للدماء وإيقافه اشتعال حرب جديدة مع دولة أوربية بعد أربع سنوات من انتهاء الحرب العظمى قال . .

« وجه كمال كل مجهوده إلى الغرض الأساسي الذي أمامه والذي كان من السهل الوصول إليه واستعمل قوات الفرسان

التي كانت تحمى جناحيه ليظهر قوته أمام الإنجليز المحتلين لجناق — ولكنه أصدر لضباطه تعليمات صريحة شديدة ليتحاشوا القيام بأى مظهر عدائى، وأن يكون تقدمهم بطريقة ودية. ولم يتغير تصرفهم هذا أمام كل الظروف التي اعترضتهم ، بل ذهبوا إلى إظهار التأنى بطلب بعض المهمات والأشياء التي يحصل تبادلها بين قوات متحابة معسكرة فى مكان واحد — وبهذا أمنت كل القوات البريطانية التي كانت محتلة للمضيق فى الوقت الذى كان الخطر محدقاً فيه باستانبول التي لم يكن من اختصاص بريطانيا الدفاع عنها .

* * *

لقد عرفت عن كثب أنور باشا وهو قائد من رجال الحرب نبغ من بين أحرار الأتراك ، وكان عاملا من أول الحركة التي أشعلتها جمعية الاتحاد والترقى ، ثم قائداً فى حرب طرابلس ضد إيطاليا ، وأخيراً فى الحرب البلقانية .

ولم أر اليأس قط متغلباً على أنور حتى فى أشد الأوقات محنة حينما كان البلقانيون على خطوط تشاطلجة ، ولكن مزاياه الخلقية والفكرية كانت تتضاءل أمام حبه للمباهاة بنفسه وخيلائه .

ولذلك قصر عن تلك القدرة على النظر بدقة إلى الأمور وتفهم الأشياء على طريقة كمال الذى يتبع خطة العمل يقرن فيها الإقدام المتناهى مع الصبر والتأنى الطويل ويعرف كيف يملى على نفسه وهو قائم بحرك الجيوش على جبهة القتال — وهذا هو سر نجاحه —

وهذا دليل على أن الروح العسكرية القديمة التي كانت لدى العثمانيين القدماء ومكنتهم من تدويخ أوربا ومقارعتهم لها وهم تحت أسوار فينا قد عادت وتقمصت فيه .

ولكن المهمة السياسية التي ألقيت على عاتق هؤلاء كانت سهلة ليست مستعصية كالتي تلقاها خلفهم فى القرن العشرين لأنهم دخلوا أوربا منتصرين واحتلوا بلاداً وأقطاراً شاسعة وكان من حقهم إهمال من يعيش فيها ما دامت القوة فى جانبهم

إنى أصرف النظر كما ذكرت فى السابق عن موضوع إصلاحاته الغربية التي أعدها من قبيل عمل المسيطرين النواة المتشبثين بطريقة بطرس الأكبر — وأعود إلى سياسته التي أوجدها لنفسه أمام الظروف القاسية التي وجد فيها بلاده ، تلك السياسة التي أملاها بحزم ، وقصر نفسه عليها من المبدأ إلى النهاية ثم داوم على اتباعها مخالفاً بذلك تقاليد الدكتاتوريين الذين قبله وما بعده دكتاتوريو هذا العصر .

لأن كلا منهم فى حاجة إلى اتباع سياسة مظهرية ترمى إلى إدخال الهيبة فى نفوس العامة ، وفى حاجة إلى إشغال الشعوب التي فقدت حريتها بشيء من المجد .

ورأى مصطفى كمال الأول من هذا النوع من الناس الذى أوتى من الشجاعة الأدبية ما جعله يقرر من أول الأمر أن يقصر نفسه عن هذه المظاهر الفخرية — ثم أن يداوم على حرمان نفسه وعدم إشغال أمته بمثل هذا بعد انتصاره وقد بلغ من الأمر منتهاه . فكثيراً ما هددت الدولة العثمانية بخلافتها وبإعلانها الجهاد رغبة منها فى الظهور بمظهر الدولة ذات السياسة العالمية وإن كانت تمثل الرجعية والتقهقر بأجلى مظاهرها . وجاء مصطفى كمال فكان أول من تحقق من أن مصلحة تركيا تقضى بتنازلها عن أى نفوذ أو سلطة خارج حدودها القومية ، ولذلك وضع نصب عينيه أن يتحاشى إشغالها بأى عمل يشتم منه الرغبة فى مغامرات خارجية فوق طاقتها .

وقد عاينت ذلك بنفسى فى الشهور الأولى من عام ١٩١٩ حينما كنت باستانبول وتيقنت من أن الزعيم التركى قد عزم على اتباع هذه السياسة الإيجابية التي تؤدى حتما إلى استقلال فعلى حقيقى لتركيا .

وكان قد لجأ إلى بروسة فى تلك الأيام السيد أحمد السنوسى الزعيم الدينى المشهور فى برقة حينما أيقن من ضياع آماله فى إخراج الإيطاليين من بلاده . ولما كنت مقتنعاً بأن السياسة العملية الوحيدة لتوطيد الأمن والسلام فى ربوع المستعمرتين الإيطاليتين تتلخص فى إعطاء الأهالى الوطنيين شيئاً من الحكم الذاتى الواسع النطاق ، لم أتردد لحظة واحدة فى قبول المفاتحات التي عرضها على أصدقاء السيد السنوسى باستانبول ، وفعلا دخلت معه فى محادثات طويلة على الطريقة المعتادة للشرقيين انتهت به إلى فهم وتقدير مشروع اتفاق مع الحكومة الإيطالية يعطى للسيد سلطة متسعة فى الداخل على شرط أن يعترف نهائياً بسيادة إيطاليا على بلاده وأن يعطى المواثيق بتشجيع ومساعدة المصالح الاقتصادية والسياسية فى بقية الجهات الواقعة تحت حكم إيطاليا مباشرة فى طرابلس وبرقة .

وقد عقد فعلا وزير المستعمرات الإيطالية السنيور لويجى

طرائف من العصر المملوكي :

الشكوى فى شعر ابن نباتة

للأستاذ محمود رزق سليم

لا ريب أن البشرية غايتها السعادة ؛ فهى تسعى إليها أفراداً وجماعات ، وتطرق كل باب يؤدى إليها ، وكل سبيل تفضى نحوها . — وقد اختلف الناس — ولا يزالون مختلفين — فى كنه السعادة وفى الوسائل المؤدية إليها . ولكن — ليت شعرى — أيكون البؤس مظهراً من مظاهر السعادة ، أو يكون وسيلة من وسائلها ؟ تساؤل ، لأن النفوس مختلفة الطباع ، متباينة الاتجاه . ومن الناس من يجد لذته فى شقائه ، وسعادته فى بؤسه . إذ خلقت نفسه ذات طبيعة قلقة حائرة تنشد الهدوء ، حتى إذا وجدته نفرت منه ، وعاودت سعيها إليه . وتطلب الرضا ، حتى إذ ظفرت به ونعمت بأسبابه ، قطعت مابينها وبينه ، ثم شاقها الحنين للبحث عنه . هذه نفوس من طراز خاص توسع فى آمالها ما أفسح لها الخيال ، وتسعى فى سبيلها ما بدا لها السعى . حتى إذا وصلت إلى أمل جددت أملا ؛ وإذا ما انتهت من سعى عاودت سعيا . لأن غايتها فى السعى نفسه ، لا فى عاقبته . ولأن إربتها فى البحث ذاته ، لا فى نهايته . فهى أبداً فى عمل دائب وهم ناصب . وهى لقلقها الذى فطرت عليه ، وحيرتها التى خلقت بها ، لا تستريح إلى طريق فى الحياة ممهدة معبدة ، لا أمت فيها ولا عوج . ولا تطيب لها السبل ، إذا امتلأت جنباتها بالورود والأزاهير . بل تفضل منها المعقدة الملتوية الجدبة ، على السهلة المستقيمة الخصبة . وتختار المشقة على اليسر ، وتؤثر التعب على الراحة . كل ذلك لا ليقال : مجيدة بلغت السيادة بجدها وجهادها ، ولا ليقال : فريدة حازت السعادة بكدها وجلادها ، بل لكى تلائم بين هذه المشقات وبين طبيعتها ، وما فيها من قلق وحيرة . ولكى تجد فيها من الأسباب ما ترتل عليه شكواها وتوقع أنينها . فهى مطبوعة على حب الشكوى ، تجيدها وتجد فيها راحتها ، ومفطورة على

روسى على أساس هذه المحادثات اتفاقاً حكيما جنت منه إيطاليا ثمرات عديدة حتى جاءت الحكومة الفاشية فضربت به عرض الحائط ، لأنها وجدت فى المستعمرتين ميداناً واسعاً لاستغلال منشوراتها وتقاريرها عن انتصاراتها الحربية التى يتضح المتأمل عبث القيام بها بجانب ما تتكلفه من التكاليف والخسائر .

ولم يكن منتظراً بقاء مثل هذه المحادثات فى طى الخفاء ، ونحن فى جو استانبول لأنها سرعان ما تنتقل إلى علم أنصار مصطفى كمال وقد يعملون على إحباطها ، ولذلك رأيت من المصلحة إبلاغه عنها فجاءنى منه الرد الآتى :

« كان علة شقائنا وسقوطنا محاولاتنا المحافظة على سيادة تركيا على الأقطار العربية فنحن لا نريد أن نسمع من الآن شيئاً عن ذلك ، والسنوسى حر فى أن يفاوضكم على ما يرغب وأن تتفقوا معه على ما تريدون » .

ولقد زادنى هذا الرد القاطع المقرون بالصراحة اعتقاداً فى أننا على وشك أن نلمس عصر إحياء جديد فى النفس التركية — ووصل مصطفى كمال إلى أوج ما ينشد من المجد والسلطة فلم يتغير من خطته هذه — وهو موقف يستدعى الإعجاب والتقدير وهو نادر فى نفس الوقت

لقد عرف من البداية أن الدولة العثمانية بلاد متأخرة تقع بين أوربا وآسيا ، وأن تركيا إذا اقتصرت على توجيه قواها إلى استغلال آسيا الصغرى أمكنها تحت نظامها الجديد أن تصير عامل حضارة وتقدم ، وقد يأتى يوم تلعب فيه دوراً مهماً تجـــاه آسيا الوسطى .

وهنا يظهر عمله الإنشائى الحقيقى الذى أتمه بحنكة وشجاعة وإن بقى مجهولا لدى الكثيرين بجانب ما يتحدث الناس به من إصلاحاته الثانوية فى تغيير الحروف وفرض القبعة .

وإنه لمن الشرف له أن يشاد بعمله هذا وأن يقال إن هذا الزعيم وصل من بين الدكتاتوريين أن يجنى ثمار نجاحه بحق ، لأنه أقدم على ما لم يقدم عليه غيره ، وعرف كيف ينظر شزراً إلى مخلفات سياسة المجد الكاذب التى كانت تتبعها الحكومة العثمانية السابقة والتى لم يكن لها غرض إلا ما تحدثه من الضجيج الفارغ والضوضاء الكاذبة ...

أحمد رمزى

الأنين تحبه ، وتستشمر خلاله طمأنينتها . وهى لا تستطيع الجد فلا تجاريه ، ولا تستسيغ الرضا فلا تهدأ إليه . ولو راحت تحمد وترضى ، ما استطاعت ذلك إلا متكلفة مجهودة ، ومتعبة مكدودة .

هذه نفوس من طراز خاص كما أشرنا . وتأبى الأقدار إلا أن تهيىء لها كل العوامل التى تنضج فيها هذا الفن من فنون الحياة فتلقى فى طريقها الأشواك ، وتبث الشراك ، حتى يكثر عثارها ، ويتكرر نفارها . وهى — فى الحق — راضية فى قرارتها ، هانئة فى أعماقها ؛ لأن ما تصنعه لها الأقدار يتلاءم مع سجيتها ، وينسجم مع طبيعتها . وهكذا تبدو بائسة يكاد يأكلها البؤس ، ونحسة يكاد يطويها النحس . فتفر بقلقها من دار إلى دار ، ومن سبيل إلى أخرى . تنشد ما تزعم من سعادة وعزاء ، شاكية آنة ، بائة حانة . حتى إذا ما ظفرت نفرت وإذا وصلت فصلت . ولم تستطب هذا الاستقرار ، ولا ما هيأه لها من سعادة ، ولا مادعاها إليه من لهج بالحمد والثناء .

تتجاذبنا هذه الخواطر كلما جلسنا إلى ديوان ابن نباتة الشاعر المصرى الكبير ، لنقرأ طرفاً من أبياته ؛ إذ نرى فيها شاعراً بادى القلق ظاهر البؤس ، كثير الشكاية . وتلك سمة واضحة فى شعره ، وفى مراحل حياته .

كان جمال الدين بن نباتة «٦٨٦ هـ — ٧٦٨ هـ» أمير شعراء مصر فى جيله غير منازع . وهب الله له نفساً أديبة خصيبة ، وخيالا واسعاً رحيبا ، ولسانا طيعا ، ومنطقاً مصوراً بارعاً . فهام لذلك فى أودية الشعر ، وطرق الجم من فنونه . وحق له أن يفخر بقوله :

فما الدر إلا دون نظم أصوغه   وما الشعر إلا دون بيت أشيده

ويقول :

من مبلغ العرب عن شعرى ودولته
أن ابن عباد باق وابن زيدونا

ظن ابن نباتة ، وقد طاع له من القول عصيه ، ودان له من الشعر أبيه ، أن من حقه على الزمن أن يسعده لا يجحده ، وأن ينعمه لا يشقيه ، وأن يهيىء له من أسباب الرضا ما تقر له عينه وتطيب به نفسه ، حتى يستبقى جهده ، لفنه وحده لا تشغله عنه شواغل الحياة ، ولا تقعده دونه هموم الرزق .

ظن ابن نباتة ذلك ، ولم يعلم أن الزمان قد استحال ، وأن الدهر قد تغير ، وأن دولا ذهبت ، وجاءت على أنقاضها دول . وأن الملوك قد استعجمت بل والشعوب ، وذهبت أيام الرواج للشعر ، وطويت بسط الإنشاء ، وانفض سامره ، وقضى عهد التكسب ، وقبضت يد العطاء عن الشعراء ، وأقفلت فى وجوههم جنات النعيم .

هذه حقيقة فطن لها أنداده من شعراء عصره فلووا جيدهم وانصرفوا عن التكسب بالشعر إلى التكسب بغيره . فكان منهم العالم الفقيه ، أو الكاتب المنشىء ، أو التاجر المتنقل ، أو المحترف الصانع . والتمسوا الرزق بالوظيفة فى القضاء أو الكتابة فى الدواوين ، أو التجارة والصناعة . ورفهوا عن أنفسهم بين الفينة والفينة بأبيات من الشعر ينظمونها فى حاجاتهم النفسية . ولم يسلموا مصيرهم إلى يد الشعر ، يستمطر لهم الرزق من الملوك وأشباه الملوك ، كما كان أسلافهم فى عهد بنى أمية ، وعهد بنى العباس — حتى بدا لبعضهم أن يحمل على صناعة الشعر ، ويفضل عليها صناعته الدنيا التى يقتات منها . ويعلل لذلك فيحسن التعليل ، ويورى فيجيد التورية . وقد قال أبو الحسين الجزار «٦٧٩هـ» :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت حفاظاً   وأرفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجينى   وبالشعر كنت أرجو الكلابا

أما ابن نباتة ، فقد صمم على أن يعيش لفنه ، لا تلهيه عنه تجارة أو بيع ... ظانا أنه سيدر عليه من الذهب النضار ، ومن الفضة النثار . فانساق إلى مهواة التكسب حتى أدركته حرفة الأدب ، ولحقه كساد الشعر وبواره . ولم يجن من وراء ذلك إلا القلق والبؤس وصار كما يقول عن نفسه وهو بدمشق ، متذكراً ما مضى من أيامه :

شهور وصل كساعات قد انقرضت
بمن أحب وأعوام كأيام
ولدت كأنى منها كنت فى سنة   ثم انبرت لى أيام كأعوام
مقلقلا بيد الأيام مضطربا   كأنما استقسمت منى بأزلام
قد حرمت حالتى طيب الحياة بها   كأن طيب حياتى طيب إحرام
هى المقادير لا تنفك مقدمة   وللحجا خطرات ذات إحجام

وهذه حالة لا مفر منها ، مادام قد طرق أبوابها ، وسلك رحابها . وماظنك بمتكسب فى غير سوق ، وسادر دون وثوق . يترك بابا ليقرع بابا ، ويهجر مقصوداً ليمم شطر مقصود . هذا يعطيه وذاك يمنعه ، وهذا يهب له وذاك يدفعه . وهو ما بين هذا وذاك ساخط على من حرمه وقلاه ، شاك فيمن منحه وأعطاه . هذه — لعمرك — حياة المتبطل الكسول الذى لم يلبس لبوس عصره ، ولم يرتد مسوح زمانه . يقول :

يا سائلى بدمشق عن أحوالى قف واستمع عن سيرة البطال
ودع استماع تغزلى وتعشقى ماذا زمان العشق والأغزال
طول النهار لباب ذا من باب ذا أسعى لعمر أبيك سعى ظلال

ويقول منها :

أترى الزمان يمينى بولاية أحمى بها وجهى عن التسآل
زحل يقارن حاجتى وقد انحنى ظهرى من الهم انحناء الدال

لم تهتم القادير بإجابة ابن نباتة إلى سؤله ، بل ادخرت له فى جعابها أقسى ما ادخرت لإنسان . وحفظت له فى قرابها أحد ما أرهفته لامرئ . وهى تعلم — بلا ريب — خبيات نفسه ومغيبات حسه . فادخرت له ما ادخرت ، وأرهفت ما أرهفت لملاءمته لها . وبذلك وحده ، ينبغ أدبه ، وينبغ فنه ، ويصبح شاعر البؤس والشكوى . وما كل بائس يلتئم مع بؤسه فى أعماق نفسه . أما ابن نباتة فقد نعم بهذا البؤس ، لأن نفسه وجدت فيه معيناً لشكايتها حتى خلقت لتجيدها وتحسن القول فيها . لهذا جاء شعره ترجماناً صادقاً عن مطوى نفسه ، ولساناً معبراً عن مذخور حسه . وصارت الشكوى فى خلال أبياته ، على اختلاف منازعها ، اللون الأصيل ، واللحن المشترك ، الذى لا تتم ألوان القصيدة أو أنغامها إلا به . يقول وقد عجل إليه المشيب :

عجبت خلتى لو خط مشيبى فى أوان الصبا وغير عجيب
من يعم فى بحار همى يظهر ربد فوق فرعه الغربيب
من يحارب حوادث الدهر يخفى لون فوديه فى غبار الحروب
أى فرع جون على عنت الأ يام يبقى وأى غصن رطيب
لو همى ماء معلق من اللــ ين لأفنته مهجتى بلهيب

ونعتقد أن ابن نباتة ، كان فى مقدوره أن ينجو بنفسه بعيداً عن نحسه ، وأن يجنبها مشاق الحياة ووعثاء العيش بالارتزاق بإحدى الطرق المألوفة فى زمانه ، وأيسرها عليه الكتابة فى ديوان الإنشاء . ونعتقد أنه لو سعى جاداً إلى الوظيفة لظفر بها . فهو لا يقل باعاً ولا يقصر ذراعا عن رؤساء هذا الديوان ، إن لم يكن فى الإنشاء أحفل منهم وأفضل . ولا ندرى ما نعلل به حرمانه من وظائف الديوان — وما خلقت إلا لأمثاله — إلا وثوقه من شعره واعتقاده أنه سيكون سبيله إلى الغنى والثراء والعيش الكريم ، وإلا خوفه ممـا فى الديوان من قيود ونظم لا تتلاءم مع قلقه وحبه للتنقل . ولعل استحواذ جلة من أدباء العصر — أمثال العلاء بن الأثير ، وأبناء فضل الله العمرى — على قلب الناصر سلطان مصر حينذاك ، كان فى جملة أسباب حرمانه ، وتأبى وظائف الديوان عليه .

على أن ابن نباتة كانت لأبيه ثروة ما بدمشق وبمصر ، وكان يمينه بشىء منها بين الآن والآن . فلما مات أبوه بدد ما ورث فى مسارح اللهو ومطارح الهوى ومغامرات الشباب ، وأنفق وأسرف ، وبذر وأتلف ، كأنما وعده القدر أن يهيىء له الأمل الجديد فى المستقبل السعيد . ولكن القدر ضحك منه ملء شدقيه وأسلمه للحاجة تأزمه ، وللفاقة لا ترحمه .

هذه أمور كان لها أثر فى ابتئاسه وشكواه . ويأبى الدهر إلا أن يضاعف له فى هذه الأسباب كلما تراخت الأيام وتطاولت عليه الليالى .

فقد ابتلى بالزواج الباكر . والزواج الباكر نعمة وعصمة ، لولا مسئولياته الضخمة وأعباؤه الثقال . ولوكان ابن نباتة فى بحبوحة من العيش ، وسعة من النعمة ، لما أرهقه الزواج وآده . وقد كان شاعراً . والشاعر تطن الأحداث فى دنياه الباطنة طنيناً مضاعفاً . وكانت أوتار نفسه تجيد ألحان الشكوى ، فوجدت فى أحداثه ما يحسن التوقيع عليها .

لقد ولد له نحو ستة عشر وليداً . والأبناء عزة وقوة وزينة ، إلا مع الفاقة ، فإنهم ذلة ومجبنة ومذمة ... هكذا جرى العرف بين الناس . يقول ابن نباتة :

لقد أصبحت ذا عمر عجيب أقضى فيه بالأنكاد وقتى
من الأولاد خمس حول أم
فوا حرباه من خمس وست

ويقول :

كنت فى الشعر جواداً   يحرز السبق بلمحه
فثنــاني العسر والأو   لاد لا أملك فسحه
كل ابن لى وبنت   كشكال لى وسبحه
وزناد القول لا يسـمح فى وجهى بقدحه

وتأبى الأقدار مرة أخرى إلا أن تتخذ من هؤلاء الأبناء هدفاً تقذفه فيه وتصميه منه . فقد كان أبناؤه يموتون واحداً إثر واحد إذا بلغوا الثامنة أو نحوها . فتكررت فجيعته فى كل واحد منهم يوم ميلاده ويوم وفاته ... بكاهم وأودع فى رثائهم ما فى قلب الأب من وله ولوعة ، وما فى صدره من زفرة ، وفى عينه من دمعة ورثاء الأبناء من أمر ضروب الشكوى . يقول الشاعر فى رثاء ولده عبد الرحيم .

أسكنت قلبي لحدك   لا خير فى العيش بعدك
يسـيل أحمر دمعى   لما تذكرت خدك
وقدّ بالهم قلـبى   لما تذكرت قدّك
يا سائل الدمع إيه   فما أجوّز ردك
أقصـدتنى يا زمانى   كأننى كنت قصدك
وكان ما خفت منه   فاجهد الآن جهدك ... الخ

نبا بابن نباتة المقام بمصر ، فنزح إلى دمشق ولقى وزراءها أبناء فضل الله العمرى ، ووجد من لدنهم شيئاً من الخير والبر أطلق لسانه مادحاً مشيداً بذكرهم ، حتى قال :

من مبـلغ الأهلين عنى أننى
بدمشق عدت لطيب عيشى الأرغد
وأمنت من نار الخطوب ولفحها   لما لجأت إلى الجناب الأحمدى

ويقول شهاب الدين بن فضل الله :

نظرت أبا العباس نظرة باسم   لحال امرئ كاد الزمان يبيده
فأحييته بعد الردى وأقمته   وقد طال من تحت التراب هموده

ولكنا لا ندرى بالضبط ما الذى نفره من دمشق فزايلها إلى حماة ، إلا ما كان فى نفسه وطبيعته من حب التنقل ، وكراهة الاستقرار . ولعل أريحية المؤيد صاحب حماة ، جاذبته عصا تسياره ورحل أسفاره . وهناك فى حماة وجد لها نيئة وبلهنية ، ورفاهة ونعيما ، وصحبة كريمة . وظفر منه المؤيد وابنه الأفضل ، لقاء ذلك ، بأعطر ما تطمع فيه الملوك من القصيد . قال يذكر لقاء المؤيد له ويمدحه :

زمن الأنس قائم بالتهانى   ونوال الملك المؤيد يسرى
ملك باهر المكارم يروى   وجه لقياه عن عطاء وبشر
زرت أبوابه فقرب شخصى   ومحا عسرتى ونوه ذكرى
ونحا لى من المكارم نحواً   صاننى عن لقاء زيد وعمرو الخ

غير أن الزمان تجهم له فى حماة . ولعل ذلك بسبب وفاة المؤيد ثم زوال الأفضل ، فعاد إلى دمشق يطرق أبواب وزرائها مرة أخرى ، فأدخله ابن فضل الله فى ديوان الرسائل . وهكذا نال فى شفق حياته ما حرمه وعز عليه فى ضحاها . وضج لسانه بشكر ابن فضل حيث يقول :

بلغتنى يا ابن فضل الله مطّلباً   لم أرجه من بنى الدنيا ولم أخل
وقد سموت لديوان الرسائل فى   على ادكارك لا كتبي ولا رسلى

غير أنه ابتلى حينذاك بتأخر مرتبه ، وانقطاع هبات علاء الدين بن فضل الله وتغير قلبه عليه . وكان ذلك مثاراً لشكاية ابن نباتة فمدح علاء الدين مدحاً امتزج فيه العتاب واللوم ، والاعتذار والشكوى ، والأمل والرجاء . فمن ذلك قوله :

أمولاى قد غنى بمدحى لك الورى
وسارت به الركبان فى السهل والوعر

إلى أن قال :

على أن عندى كأس شكوى أديرها
على السمع ممزوجاً بمدحى النمر
أيكسر حالى بالجفاء وطالما   تعودت من نعماك عاطفة الجبر
ويدفعني من قوت يومى معشر   وأنت عليهم نافذ النهى والأمر
ولو كان ذنب لاعترفت به ولا   تحيلت فى عذر ولا جئت من غفر

ويقول له :

يا صاحب الذيل من لفـظ وفضل علا
هل أنت مصغ لما تمليه أعمالى
ماتت يد الدهر فى يومى وقد بليت   أضعاف ما بليت بالهم أقوالى

وقد تكررت هذه المعانى منه فى أبيات كثيرة . ومما زاد فى

آلامه حينذاك أن اشتد به الحنين والشوق إلى بقية أبنائه ممن تركهم بمصر ، وكأنما أبقاهم بها وسيلة ميسورة لقلقه وهمه وشكواه . يقول :

صب بمصر حيث أولاده بالشام يذرى الدمع مصبوبا
ذو كبد حرى وهم بعضها فالكل يشكو الشوق الموبا

ويقول :

ياسا كنى مصر تبت للفراق يد قد صيرت بعدكم حزنى أبا لهب

ويقول فى سياق مرثيته لتقى السبكى يتشوق إلى مصر ويصف قلبه الوزع :

من لى بمصر التى ضمتك ، تجمعنا ولو بطون الثرى فيها فيا طربى
ما أعجب الحال ، لى قلب بمصر وفى
دمشق جسمى ، ودمع العين فى حلب

وتنتابه ذكرى أيامه الماضية وماجنت فيه من لذة ومتاع ، والذكرى ضرب آخر من الشكوى ، فيصف شعوره فى أبيات موجعة حيث يقول :

رعى الله دهراً كنت فارس لهوه أروح إلى وصل الأحبة أو أغدو
جوادى من الكاسات فى حلبة المنا
كميت ، وإلا من صدور المها نهد

إلى قوله :

زمان تولى بالشبيبة وانقضى وفى قلبى طعم من مجاجته بعد

عاد ابن نباتة إلى مصر بعد رحلة طويلة غير موفقة ، إلا فى فترات متفرقة . فلقى من الناصر حسن سلطانها الجديد شيئاً من العطف شكره عليه . ولكن كانت لا تزال جراح قلبه ناغلة ، وعبارات الشكوى على شفتيه حيث يقول :

قضيت العمر مداحا وهذا يا أخى الحال
فقير الوجه والكف فلا جاه ولا مال

آمن ابن نباتة أخيراً بالحظ إيمان المضطر ، وزهد زهد المغلوب . يقول :

هى الحظوظ فمش منها بما وهبت ولا تقل عالياً عزى ولا دونا

ويقول :

منمتى الدنيا جنى فتزهد ت ولكن تزهد المغلوب

ويلتمس لكساد أدبه المعاذير ، فيقول :

لا عار فى أدبى إن لم ينل رتباً وإنما العار فى دهرى وفى بلدى

والإيمان بالحظ قد يكون مظهراً من مظاهر اليأس ، ودليلا على القلق والبؤس ، إذ لا يصل المرء إلى حظيرته إلا بعد مدافعة ومعانمة ، وأمل وإخفاق . آمن ابن نباتة بالحظ ولكن إيمان البرم به الساخط عليه ، الذى عالجه فلم ينجح علاجه ، وأوقد له فخبا سراجه . آمن به إيمان المهزوم المستسلم ، وفى نفسه ثورة عليه مكبوتة .

غير أن هذا الحظ الذى تعمى عليه ، والقدر الذى عبث به ، قد انضجا فى شعره فن الشكوى . وكم لهذا الفن بين الناس من عشاق !

(حلوان)

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

حديث الصيام :

عـــــدالة قاض

الاستاذ محمد رجب البيومى

« مهداة إلى أستاذى الأديب الشاعر
الراوية أحمد شفيع السيد »

— ١ —

كانت أخيراً بالبحث فى تاريخ القضاء الإسلامى فشاهدت صفحات لامعة تغرى بالتتبع والاستقصاء ، ووقفت على جهود محمودة لنخبة ممتازة من رجال الحق وأنصار العدالة ، فتعجبت كيف لا تُجمع هذه الدرر الوضيئة فى عقد نضيد يكون موضعاً المفاخرة والمباهاة !!

ونحن لا نستغرب إذ نجد رجال القضاء فى عصور الإسلام الزاهية على جانب كبير من التحرر والدقة ، فقد تمكنت تعاليم الإسلام الخالدة من نفوسهم فعرفوا الله حق معرفته ، وقرأوا الكتاب والحديث ودرسوا مسائل القياس وقوانين النظر . هذا إلى ما يشرق فى قلب المؤمن التقى من نور يهديه إلى الحق مهما تكاثف الظلام !!

ومن هؤلاء الأئمة الأفذاذ القاضى أبو جعفر أحمد بن إسحق ابن البهلول التنوخى الأنبارى . وقد أجمع الذين كتبوا عنه على سلامة استنباطه وصحة توجيهه ، وصدق تعليله . وأنت تجدهم يصفونه — فى إسهاب زائد — بالبلاغة العالية إذا خطب أو ترسل كما ينقلون شذرات ثمينة من شعره تُنبئ عن عاطفة وذوق ، ويجعلونه حجة فى التفسير والحديث والرواية والإسناد . أما تبحره فى الفقه على مذهب أهل القياس فقد بوّأه منصة القضاء أكثر حياته التى زادت على الثمانين . وإذا اجتمع لفاضل من الناس كل هذه الميزات الرفيعة ، فماذا ينقصه من الشمائل والصفات ؟ !

على أننا لا نُكبر الرجل لعلمه وحده ، فكثير من الأئمة فى القديم والحديث قد جاوزوه فى التحصيل والدراية ، ولكننا ننظر بكثير من الإجلال والإكبار إلى صرامته فى الحق دون مبالاة ، وهجومه على الباطل فى غير هوادة ، مهما جر عليه ذلك من بلاء وعنت . وناهيك بمن يفاجئ رؤساءه وصدور الدولة فى عهده بما لا يطيق المؤمن الورع صبراً عليه من ميل عن الحق ونكوص عن الجادة ، وولوغ فى البهتان !!

وهأنذا أقدم للقارئ الكريم موقفين متشابهين له فى نصرة الحق ، راجياً أن يكون أسوة حسنة ، ومثالا يحتذيه الناس .

— ٢ —

نحن فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وقد انحدرت الدولة العباسية من أوجها السابق إلى وهدة سحيقة سقطت فيها هيبة الخلفاء والأمراء ، وتنازع الوزراء وأعيان الدولة على الحكم شر تنازع وأبشعه ، فكان هم كل وزير أن ينكل بمن سبقه ، فيخلق له الاتهامات الخطيرة التى تطيح بحياته ليأمن على منصبه وجاهه فلا يجد المنافس العنيد . وقد كان حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر بالله يضيق ذرعاً بسلفه الوزير أبى الحسن بن الفرات . فحاك له من خياله الآثم أفظع تهمة يمكن أن توجه إلى إنسان حيث اختلى بالخليفة ، وأخبره أنه عثر على وثائق هامة تثبت اتصال ابن الفرات ببعض العلويين المطالبين بالخلافة ، وأن الحزم يوجب أخذه بالشدة لتجرى الأمور فى وضعها الصحيح . وقد اهتم الخليفة المقتدر بالأمر ، فعقد لفوره مجلساً برئاسته لمحاكمة الوزير السابق ، وقد أحضر فيه على بن عيسى وأحمد بن إسحق بن البهلول وأبا عمر محمد بن يوسف . وجيء بابن الفرات مخفوراً إلى المحاكمة حيث وقف غريمه الوزير حامد بن العباس أمام الخليفة يبسط التهمة الخطيرة ، ويبين مغبتها الجريئة ، ثم اتجه إلى الباب فجأة وصاح بأحد الحجاب : أدخل الجندى فى الحال !

فدخل جندى مديد القامة ، مكتمل الصحة ، فاتجه حامد إلى المقتدر وقال : لقد ضبطت هذا الجندى قادماً من مدينة «أردبيل» ومعه كتب خاصة من ابن الفرات إلى ابن أبى الساج يطلب فيها معاونة الداعى العلوى وتجهيزه للشد إلى بنداد ، حيث يستقبله ابن الفرات فيتعاونان معاً على تقويض الخلافة العباسية ، وإنهائها إلى العلويين !!

ثم التفت الوزير إلى الجندى وقال له : قل ماسبق أن اعترفت به لدى فقال الجندى : لقد ترددت بضع مرات على ابن أبى الساج فى أردبيل أحمل الرسائل المتنوعة من ابن أبى الفرات جاهلا ماتقنها

الخطيرة ، فهو المسئول عنها وحده ، وما أنا غير حامل قدم بتكسب بالسير والتجوال .

دهش الخليفة من هذا الاعتراف الجرىء ، وطار شرر الغضب من عينه ، وأخذ يصوب نظراته المحرقة إلى ابن أبى الفرات وهو يتململ فى مكانه ممتقع الوجه منقبض الأسارير !

ثم التفت المقتدر إلى القاضى أبى عمر فسأله : ما عندك فى ذلك يا أبا عمر ؟ ! فقال فى غير روية : لقد أتى ابن الفرات أمراً تخر له الجبال ، وللخليفة — أيده الله — أن ينزل به ما شاء من العقاب ! ..

فتألق وجه الوزير بالبشر وظن أن المحاكمة ستنتهى على ما يريده من البطش بصاحبه ، وجمل يرنح عطفه فى نشوة الظافر المنتصر ولـكنه رأى الخليفة يتجه إلى أحمد بن إسحق فسأله : وما عندك فى ذلك يا أبا جعفر ؟ فيقول القاضى : لا بد من مناقشة الجندى ، فهل يأذن الخليفة بذلك ؟ فيجيبه إلى طلبه ، ثم تدور هذه الأسئلة بين القاضى والجندى .

القاضى — تدعى أنك رسول ابن الفرات إلى ابن أبى الساج فى أردبيل فهل رأيت أردبيل ؟

الجندى — نعم رأيتها ودخلتها عدة مرات

— صف لى أردبيل ، أعليها سور أم لا ؟

فسكت الجندى .

قال القاضى : وما صفة باب الإمارة الذى دخلت منه ؟ أحديد أم خشب ؟

فسكت الجندى أيضاً

قال القاضى : ومن هو كاتب ابن أبى الساج الذى ذهبت إليه ؟ ما اسمه ؟ ما كنيته ؟ ما لقبه ؟

فبهت الجندى ، ولم يرد بشىء .

قال القاضى : وأين الكتب التى كانت معك من ابن أبى الساج لابن الفرات ؟

فقال الجندى متلجلجاً مضطرباً : رميتها فى البحر حين وقعت فى أيدى الجنود .

فاتجه القاضى إلى الخليفة وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل يقول : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) ، وقد صح عندى أن هذا الجندى جاهل متكسب مدسوس على ابن الفرات

فقال على بن عيسى فى حماسة مشتعلة : قد قلت ذلك مراراً للوزير حامد بن العباس فلم يقبل قولى ، ورأى أن يهدد هذا الجندى بالضرب حتى يقر بالواقع الصريح !

أمر الخليفة بإحضار من يضرب الجندى فى المجلس ، فما كاد السوط يلهب جسمه حتى صاح : كذبتُ وغدرت ، وضُمِنتُ لى الضمانات . والله ما رأيت أردبيل ، ولا حملت كتباً إليها طيلة الحياة !

وهنا أمر الخليفة بحبس الجندى وتعذيبه . وكاد يغشى على الوزير المختاق من الهم والانكسار ، وانتصر الحق على الباطل بصرامة القاضى النزيه أبى جعفر أحمد بن إسحاق البهلول !

— ٣ —

كرت الأعوام تلو الأعوام ، فتنمر الخليفة المقتدر على وزيره حامد بن العباس فأقاله من منصبه مخفوراً ، وأسند الوزارة إلى النهم السابق أبى الحسن بن الفرات ، وتلك الأيام نداولها بين الناس .

ولقد سعى الوزير الجديد — لأول عهده بالرئاسة — إلى قتل غريمه السابق فشفى لواعج صدره ، واستراح من ناحيته ، ثم دار بذهنه فيمن حوله من المقربين لدى الخليفة ، فرأى أن الوزير الأسبق على بن عيسى لا يزال ممتعاً بالحياة ، وقد يتم صفاؤه مع الخليفة فى وقت من الأوقات فيعيده إلى الحكم رامياً بأبى الحسن إلى غياهب السجن ، ومن ثم أخذ الوزير يدبر لعلى مكيدة ترديه مع أنه كان من أنصاره المتحمسين يوم حوكم فى التهمة الخطيرة ، ولـكن بالضيمة الوفاء ! .

رأى ابن الفرات — لانحطاط نفسه — أن يقتدى بسلفه السابق فى الاختلاق والوقيعة ، فاتجه إلى الخليفة المقتدر وأفهمه أن على بن عيسى على اتصال بالقرامطة أعداء الدولة ، وقد أرسل لهم فى مدة وزارته بعض المواد الحربية التى يحظر إرسالها إلى العدو كما أنه يعترف بتكفيرهم وخروجهم عن مبادئ الإسلام !

اهتم الخليفة بالوقيعة ، وأصدر أمره بمحاكمة على ، على أن يسمع بأذنه ما يدور فى المحاكمة من وراء حجاب ، وقد تم الأمر فى أسرع من البرق وشكلت لجنة المحاكمة برئاسة الوزير ، وحضر القاضيان السابقان فى المحاكمة الأولى : أبو عمر محمد بن يوسف وأبو جعفر أحمد بن إسحاق البهلول .

افتتح الرئيس الجلسة ، وسيق على بن عيسى إلى المحاكمة وبدأ الوزير فأسرع بإحضار رجل يدعى « ابن قليجه » وأذن له فى الكلام فقال :

لقد أرسلنى على بن عيسى إلى القرامطة مبتدئاً ، فكاتبوه يلتمسون منه المساحى والطلق وعدة حوائج فأنفذها إليهم ، وهى خطابه الذى بعث به فى هذا الشأن ، ثم قرأ الخطاب فوُجد خالياً من تكفيرهم وسبهم كما ينبغى أن يكون فى نظر ابن الفرات .

وشاء الرئيس أن يلخص الاتهام فى نقط مركزة محدودة ، فصاح فى وجه على ، والمقتدر يسمع من وراء حجاب .

تقول إن القرامطة مسلمون والإجماع قد وقع على كفرهم ، فهم أهل ردة لا يصومون ولا يصلون ، وتبعث لهم الأدوات الحربية وهم أعداء الخلافة ومبعث الفساد والشقاق !

قال على : أردت بذلك المصلحة وإعادتهم إلى الطاعة ، دون أن تراق الدماء .

قال الرئيس : ويحك لقد أقررت بما لو أقر به إمام لما وسع الناس طاعته ، فكيف يجوز لك التعاون مع أهل الفساد ؟ !

ثم التفت إلى القاضى أبى عمر فقال له : ما عندك فى أمر على ؟ فأفحم ولم ينطق بحرف . فاتجه إلى أبى جعفر وسأله ما عندك يا أحمد ابن إسحاق ؟ !

قال أحمد : لقد صح عندى أن علياً افتدى بكتابه إلى القرامطة ثلاثة آلاف رجل من المسلمين كانوا مستعبدين فرجعوا إلى أوطانهم أحراراً ، فإذا فعل إنسان ذلك على سبيل المغالطة للعدو ، فلا لوم عليه بل يستحق أطيب الثناء .

تجهم وجه ابن الفرات ، وسأل القاضى : ما تقول فيما أقر به على من إسلام القرامطة وهم أهل طغيان .

قال القاضى : إنهم كاتبوه بحمد الله والصلاة على رسوله فلم يصح عنده كفرهم ، فهم لا ينازعون فى الإسلام ولكن ينازعون فى الإمامة فقط ، ومن نازع فيها فهو غير كافر عند الأئمة الأعلام

دهش الوزير من الرد المفحم ، ثم استأنف أسئلته فقال :

— ما رأيك فى الأدوات الحربية التى أرسلها إلى الأعداء ، أ كان ينوى بذلك تقويتهم على الشغب والفساد ؟ !

— هو لم يعترف بذلك فلا تؤاخذه به .

— كيف نصدقه مع أن رسوله وثقته ابن قليجة قد قال إنه أرسل لهم المعدات !

— إذا قال رسوله ذلك فهو مدع وعليه البينة !

— كيف يكون مدعياً وهو ثقته الذى استأمنه على حمل الكتب والرسائل ؟

— إن علياً قد استوثق به فى حمل الكتب ، فلا يقبل قوله فى الأدوات الحربية بحال من الأحوال .

— أأنت وكيله حتى تحتج عنه أم أنت حاكم وقاض ؟

— لست وكيله ، ولكنى أقول الحق كما قلته فيك يوم أراد حامد بن العباس أن يتهمك أمام الخليفة بما هو أعظم من هذه التهمة ، فهل كنت وكيلك حينذاك ؟

بهت الوزير ، وانكسر انكساراً طأطأ رأسه إلى الغبراء ، وانتصر الحق مرة ثانية على يد أحمد بن إسحاق .

— ٤ —

وبعد فقد كان الورع والصلاح ديدن قضاة السلف الصالح فى صدر الإسلام ، فكانوا يتحرزون ويدققون ، مقدرين عظم المسئولية وفداحة التبعة . ومهما قارنت هؤلاء الأتقياء بأعلام القضاء الحديث فى الشرق والغرب ، فهم الراجحون الفائزون ، حيث كانوا يبتغون وجه الله وحده ، فأنزلهم منازل الصالحين ، وفازوا بأعظم الدرجات !

تبينت أن لا دار من بعد عالج · تسر وأن لا خلة غير زينب

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومى

من كتاب قصور العرب :

الخَوَرْنَق (١)

للأستاذ كاظم المظفر

إن من يتجول فى جهات العراق ، ويطلع على آثاره التاريخية المنتشرة فى أنحائه وزواياه ؛ تلك الآثار التى تشير إلى ما كان لهذه البلاد من الماضى المجيد ، والحضارة الزاهية ، وما بلغته فى تلك العصور من الرقى والعظمة ، والفن والذوق ؛ وخاصة من الناحيتين — المعارية والزراعية — بما هو جلى فى معالمها التى صارعت الدهور ، وبارزت الخطوب ، وتمردت على الجائرين والعابثين ، وأبت إلا أن تستمر على ما قطعته على نفسها من العهود ، تسامر النجوم ، وتضاحك الشمس ، وتماشى الخلود (٢) ... ولا يستكثر على العراق الذى يسميه المؤرخون « مهد الأمبراطوريات » إذا ضم بين أطباقه من النفائس الأثرية ما كان فى الأهمية من الدرجة الأولى ، وفى طليعة نفائس العالم (٣) ... وقد شاهدنا مواقع مهمة من هذه الآثار فى سامراء القديمة ، وفى الحيرة ، وفى القادسية ، وفى بابل وأور ، وهى لا تفتأ تناطح الزمن ، وتصمد للحوادث غير عابئة بهجمات العواصف ولا مكترثة بزعازع الأنواء . آثار قيمة وكنوز ثمينة ؛ تتمثل فيها عظمة الأجداد وفخر الأسلاف (٤) .

ولما عاد الأستاذ البحاثة « وولى » إلى لندن بعد أن تولى الحفر فى أور للسنة الخامسة قال فى حديث له : « نعلم اليوم أن حضارة العراق كانت فى درجة رفيعة حينما كان سكان مصر القدماء فى حالة الهمجية » (٥) ولا يبعد ذلك فإن الآثار التى نراها ونشاهدها والتى عثر عليها حتى الآن لتدل دلالة واضحة على ما كان عليه العراق سابقاً من تقدم فى المدنية ورقى فى الحضارة .

(١) الخورنق : بفتح أوله وثانيه وراء ساكنة ونون مفتوحة وآخره قاف . هكذا ضبطه الحموى . وقد جاء فى دائرة المعارف لبطرس البستانى الخورنق بضم الخاء وفتح الواو والنون وسكون الراء.

(٢ ، ٣ ، ٤) مجلة الاعتدال العدد الخامس من السنة الثانية ص ١٩٣ — ١٩٥

(٥) مجلة لغة العرب السنة الرابعة ص ٦٣

أما الحيرة فقد اشتهرت بحضارتها الواسعة ، وملوكها المناذرة الذين أسسوا المدن حين توسعوا فى ملكهم ، وامتد سلطانهم إلى بعيد ، فشيدوا القصور الشاهقة ، وأقاموا الصروح المنيفة ، والعمارات العالية الشمخرة التى تعلوها الشرفات ، وتحوطها الحدائق الغناء ، والرياض الزاهرة .. وقد سارت بذكر قصورها الركبان ، وتغنى الشعراء بخورنقها وسديرها ، وأنشدوا القصائد فى لحيانها وأبيضها (١) .. وفيها يقول عاصم بن عمرو .

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً ورجلاً فوق أثباج الركاب
حضرنا فى نواحيها قصوراً مشرفة كأضراس الكلاب (٢)

وكان لقصور الحيرة شأن خطير وأحاديث طويلة ، دونها التاريخ ، فأعطانا صورة واضحة عما بذله أولئك الملوك والأمراء من جهود جبارة فى تشييدها وإقامتها . كما سنرى ذلك فيما يأتى

ومن أشهر قصور الحيرة « الخَوَرْنق » الذى عقدنا هذا الفصل للتحدث عنه . وهو قصر يقع بظاهر الحيرة بالقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل (٣) أو فى شرقى الحيرة فى الطريق بينها وبين النجف ، وكان على نهر يسمى باسمه (٤) . وقد تجاهل الأستاذ درويش المقدادى قصر الخورنق وموقعه وآثاره الظاهرة فقال : وفى جنوبى النجف اليوم تل يقال له الخورنق لعله من آثار المناذرة (٥) .

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً فى أصل هذا الاسم ومعناه الأولى الذى اشتق منه ، فذهب الخليل إلى أنه عربى الاشتقاق من الخرنق ومعناه الصغير من الأرانب (٦) . وارتأى البحاثة الألمانى « نلدكه » أنه حرف من العبرية الربانية بمعنى المزرعة والعريش . وذهب « أندريا » أنه إرانى من « كورنة » بمعنى ذى السقف الجميل (٧) . وقيل أنه معرب من « خورنكاه » أى موضع الأكل والشرب (٨) . وقيل بل تعريب « خورنقاه »

(١) كتاب الحيرة ليوسف غنيمة ص ١٩

(٢) معجم البلدان مادة حيرة

(٣) كتاب خالد بن الوليد للعميد طه الهاشمى ص ١٢٧

(٤) كتاب نشأة الدولة الإسلامية لأمين سعيد ص ٢٦٣

(٥) كتاب تاريخ الأمة العربية ص ٢٦

(٦) معجم البلدان مادة خورنق ص ٤٨٣ من المجلد ٣

(٧) المعلمة الإسلامية مادة خورنق

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة . وتاج العروس ج ٦ ص ٣٣٢

أو على الأصح «خانقاه» وهو الوضع الذى يؤكل فيه ويشرب(١) وإلى هذا المعنى الأخير تميل كفة الرجحان عند معظم الباحثين واللغويين(٢).

وكما اختلف فى اسم القصر فقد اختلف أيضاً فى بانيه فقال ابن السكيت: الخورنق بناه سنمار(٣) للنعمان الأكبر الأعور السائح ابن امرئ القيس(٤) وإلى هذا القول ذهب الهيثم بن عدى فقال: إن الذى أمر ببناء الخورنق النعمان بن امرئ القيس بن عمرو(٥) وقال الكلبى: صاحب الخورنق والذى أمر ببنائه بهرام جور بن يزد جزد بن سابور ذى الأكتاف؛ وذلك أن يزد جرد كان لا يبقى له ولد، وكان قد لحق ابنه بهرام جور فى صغره علة تشبه الاستسقاء فسأل عن منزل صحيح ليبعث بهرام إليه خوفاً عليه من العلة، فأشار عليه أطباؤه أن يخرجه من بلده إلى أرض العرب فأنفذه إلى النعمان وأمره أن يبنى له قصراً مثله على شكل الخورنق فبناه له وأنزله إياه(٦). وقال المسعودى فى حديثه عن ملوك الحيرة: وملك الحيرة المنذر بن ال[illegible]ان فارس حليمة وهو الذى بنى الخورنق(٧) ...

ولما فرغ سنمار من بناء الخورنق عجب النعمان من حسن بنائه وإتقانه فأمر أن يلقى سنمار من أعلاه حتى لا يبنى مثله لأحد. ويقال إنه إنما فعل ذلك به لأنه لما أعجبه شكره على عمله ووصله، فقال: لو علمت أن الملك يحسن إلىّ هذا الإحسان لبنيت له بناء يدور مع الشمس كيفما دارت، فقال له النعمان: وإنك لتقدر على أن تبنى أفضل منه، ولم تبنه! فأمر به فطرح من أعلاه(٨). وقيل: بل قال: إنى أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله. فقال النعمان: أيعرفها غيرك؟ قال: لا. فقال لأدعنها وما يعرفها أحد؛ ثم أمر به فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع(٩).

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ١ ص ٣٧٣
(٢) الحيرة لقتيبة ص ١٩
(٣) سنمار: بكسر السين المهملة والنون وتشديد الميم على وزن طرماح وهو اسم رجل رومى (العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢)
(٤) العرب وأطوارهم لمحمد عبد الجواد الأصمعى ج ١ ص ١٢
(٥) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٣
(٦) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٠
(٧) مروج الذهب ج ١ ص ٢٩٣
(٨) نهاية الأرب للنويرى ج ١ ص ٣٧٣
(٩) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٣

ويقال إن الذى قذف بسنمار أحيحة بن الجلاح بعد أن فرغ من بناء أطم له(١) وهذا القول ضعيف بالنسبة إلى أغلبية أقوال المؤرخين فيما نقلناه أولاً.

والعرب تضرب المثل بعمل النعمان مع سنمار فى المكافأة على الفعل الحسن بالقبيح. فيقال: جزاه جزاء سنمار. وفيه يقول بعض الشعراء:

جزانى جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رمه البنيان ستين حجة ... يعل عليه بالقراميد والسكب(٢)

وقال أبو الطمحان القينى فى قصة سنمار:

جزاء سنمار جزوها وربها ... وباللات والعزى جزاء المكفر(٣)

وقال سليط بن سعد:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار(٤)

وقال آخر:

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب(٥)

وقال يزيد بن إياس النهشلى:

جزى الله كالا بأسوء فعله ... جزاء سنمار جزاء موفرا(٦)

وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً، وكان من أشد الملوك بأساً؛ فبينا هو ذات يوم جالس فى مجلسه فى الخورنق إذ أشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلى الشرق، والخورنق مقابل الفرات يدور عليه على عاقول كالخورنق فأعجبه ما رأى من الخضر والنور والأنهار، فقال لوزيره: أرأيت مثل هذا المنظر وحسنه؟ فقال لا والله أيها الملك ما رأيت مثله لو كان يدوم. قال. فما الذى يدوم؟ قال: ما عند الله فى الآخرة. قال: فيم ينال ذلك؟ قال: بترك هذه الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده. فترك ملكه فى ليلته ولبس المسوح، وخرج مختفياً هارباً، ولا يعلم به أحد؛ ولم يقف الناس على خبره إلى الآن. وفى ذلك يقول عدى بن زيد:

(١) مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ١٠٧
(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٣ وقد روى البيت الثانى فى بلوغ الأرب على هذه الصورة
سوى رفعه البنيان عشرين حجة ... يعلى عليه بالقراميد والسكب
(٣) العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢ والأغانى ج ٢ ص ٣٦
(٤) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٧٣ والعرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢
(٥) مجمع الأمثال للميدانى ج١ ص١٠٧ (٦) تاريخ الطبرى ج٢ ص٧٣.

وتبين رب الخورنق إذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تفكير
سره ما رأى وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبـ ـطة حى إلى الممات يصير (١)

وقد أكثر العرب من ذكر الخورنق فى أشعارهم وصار مضرب أمثالهم ولم يتصدوا لوصفه وصفاً مسهباً . غير أن المؤرخ يستنتج من أقوالهم أنه كان طرفة من طرف البناء جامعاً بين العظمة وبهاء الزخرف وروعة الوضع (٢) . وجاء فى كتاب « البرهان القاطع » مادة سنمار : إن سنمار البناء الروى بنى الخورنق وأجاد فى صنعه كل الإجادة ، حتى إن القصر الذى بناه كان يتلألأ ليلا ونهاراً بالألوان المتنوعة نظير أبى قلمون ، فكان يظهر صباحاً أزرق وظهراً أبيض وعصراً أصفر . وفى ذلك خطاب شريح القاضى للضحاك بن قيس : يا أبا أمية أرأيت بناء أحسن من هذا ؟ قال : نعم السماء وما بناها (٣)

وفى الروايات أن بناء الخورنق دام ستين سنة فكان يبنى سنمار السنتين والثلاث ، ويغيب الخمس سنين وأكثر من ذلك ، فيطلب فلا يوجد ؛ ثم يأتى فيحتج حتى فرغ من بنائه (٤) . ولا يخفى على القارئ المحقق ما فى هذه الروايات من المبالغة القصصية ، وما عليها من مسحة الافتعال ؛ لأننا إذا دققنا النظر فى زمان ملك النعمان نرى أنه حكم تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر (٥) ، فكيف جاز أن تستغرق مدة بنائه ستين سنة مع أن ملك النعمان الذى أمر ببنائه لم يتجاوز الثلاثين بعد أن قتل سنمار وبقى فى القصر مدة طويلة .

ومما كان يزيد هذا الجوسق بهاء وروعة موقعه الطبيعى الفتان ، فكان يشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار . وكان البحر تجاهه ، وفيه الملاحون والنواصون والحوت ، وخلفه البر وفيه الضب والظبى ، ويقابل الفرات فيدور عليه على عاقول كالخندق (٦) ولهذا افتتن المؤرخون والشعراء بهذا القصر وهاموا فى الإشادة بذكره (١) فقال النخل اليشكرى من قصيدة :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فإذا سكرت فإننى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإننى رب الشويهة والبعير (٢)

وقال الأسود بن يعفر النهشلى :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد أياد
أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد (٣)

وقال المتلمس للمحرق عمرو بن هند مهرط الحجارة :

ألك السدير وبارق ومرابض ولك الخورنق (٤)

وقال ابن كناسة :

الآن حين تزين الظهر ميثاؤه وبراقه العفر
بسط الربيع بها الرياض كما بسطت قطوع اليمنة الحمر
وجرى الفرات على مياسرها وجرى على أيمانها الزهر
وبدا الخورنق فى مطالعها فرداً يلوح كأنه الفجر (٥)

وقال سلامة بن جندل :

ألا هل أتى أبناءها أهل مأرب
كما قد أتى أهل النقا والخورنق (٦)

وقال الأعشى :

ويجبى إليه السيلحون ودونها
صريفون فى أنهارها والخورنق (٧)

وقال الثروانى :

يا دير حنة عند القائم الساقى
إلى الخورنق من دير ابن براق (٨)

وقال الثروانى أيضاً يصف دير مارت مريم :

بمارت مريم الكبرى وظل فنائها فقف

---

(١) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ١٧٠ . ومعجم البلدان ج٣ ص ٤٨٤
(٢) الحيرة ص ١٩ — ٢٠
(٣) معجم البلدان مادة خورنق ج ٣ ص ٤٨٥
(٤) معجم البلدان مادة خورنق والعرب وأطوارهم ج ١ ص ١٢
(٥) الأغانى ج ٢ ص ٢٦
(٦) حمزة الأصفهانى ص ٦٨

---

(١) الحيرة ص ٢١
(٢) ، (٣) العرب وأطوارهم ج ١ ص ١٣
(٤) شعر النصرانية ص ٤٨١
(٥) الأغانى ج ١٢ ص ١٠٨
(٦) شعراء النصرانية ص ٤٩١
(٧) تاج العروس ج ٦ ص ٣٣٢ ، ولسان العرب ج ١١ ص٣٦٦
(٨) كتاب الحيرة ليوسف رزق الله غنيمة ص ٤٤

فقصر أبى الخصيب المشـ   رف الموف على النجف
فأكناف الخورنق والسـ   دير ملاعب السـلف
إلى النخل المكمم والحـ   ـمائم فوقه المتـف[1]

وقال ابن المولى :

مورَّكة أرض المذيب وقد بدا   قسر به للآتين الخورنق[2]

وقد بقى الخورنق إلى عهد الفتح الإسلامى حين دالت الحيرة بدخول القائد خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ونزوله بالخورنق[3] .

وقال فى ذلك عبد المسيح بن بقيلة :

أبعـد المنذرين أرى سـواماً   يروِّح بالخورنق والسدير[4]
تحاماه فوارس كل حى   مخافة ضـيغم عالى الزئير[5]

وأنشد على بن محمد العلوى الكوفى الحانى :

سـقياً لـمنزلة وطيب   بين الخورنق والكثيب
بمـدافع الجرعات من   أكناف قصر أبى الخصيب
دار تخيرها الـــملو   ك فهتكت رأى اللبيب[6]

قال الحانى أيضاً :

فيا أسفى على النجف المعرى   وأودية منـورة الأقاحى
وما بسط الخورنق من رياض   مفجرة بأفنيـة فسـاح[7]

وقال أيضاً :

كم وقفـــة لك بالخورنق   ما توازى بالمواقـــف
بين الغدير إلى السد   ير إلى ديارات الأساقف[8]

وقد بقى هذا القصر عامراً — كما ترى من أقوال الشعراء فيه — بعد الفتح الإسلامى وتخطيط الكوفة زمناً [9] ؛ وإن كلا من ولاة الكوفة أحدث فيه شيئاً من الأبنية ومنهم الضحاك ابن قيس بنى فيه مواضع وبيضه وتفقده [1] . وقد سكنه الأمراء

(1) كتاب الحيرة ص ٤٦
(2) كتاب الأغانى ج ٣ ص ٢٨٧
(3) خالد بن الوليد للعميد طه الهاشمى ص ١٢٧
(4) أمالى السيد المرتضى ج ١ ص ١٨١
(5) معجم البلدان ج ٣ ص ٤٨٤
(6) معجم البلدان مادة خورنق
(7) معجم البلدان مادة نجف
(8) معجم البلدن مادة خورنق
(9) كتاب الحيرة ص ٢٣
(10) معجم البلدان مادة خورنق

العباسيون ، وبقى قائماً إلى القرن السابع الهجرى ، ومفاد ذلك ماجاء فى مراصد الاطلاع [1] : والمعروف أنه — أى الخورنق — القصر القائم إلى الآن بالكوفة بظاهرة الحيرة . بل ظل عامراً إلى القرن الثامن الهجرى وذلك حين ذكره محمد بن بطوطة فى رحلته المشهورة إذ قال : [2] ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين على عليه السلام سافر الركب إلى بغداد وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة وخرجنا من مشهد على عليه السلام فنزلنا الخورنق موضع سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بنى ماء السماء وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة فى فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات ... اما ماجاء فى المعلمة الإسلامية مادة خورنق من أنه أصبح خراباً فى القرن الرابع عشر للميلاد فليس بصحيح لما قدمناه من قول ابن بطوطة والحنبلى صاحب مراصد الأطلاع.

وفى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى أرادت الحكومة العثمانية إنشاء سراى وثكنة وأنبار (مخزن) لواردات الخزينة الميرية فأوعزت ولاية بغداد إلى حكومة أبى صخير أن تشرع بهذا العمل فلم يكن من تفكير قائمقام أبى صخير العثمانى فى إنشاء هذه البنايات إلا القضاء على قصر الخورنق هذا الأثر العربى القديم فأمر بهدم ما كان ماثلا من جدرانه وقبابه ونقل تلكم الأحجار والأنقاض إلى أبى صخير وبنوا بها المواقع التى أشرنا إليها ولازالت قائمة إلى اليوم . وحكى بعض الشيوخ أنهم وجدوا أثناء الحفريات فى إحدى غرف الخورنق المطلة على بحيرة النجف عصاً من الخشب الأسود وعليها نقوش وزخرف ، ولما أخبر القائمقام والى بغداد بذلك أمره بإرسالها إلى بغداد ، ومن ثم أرسلت إلى الأستانة بطلب من السلطان عبد الحميد[3] .

وقد زرت موقع الخورنق منذ أيام معدودة لقربه من مدينتى النجف ، فوجدت آثاره ظاهرة بالقرب من نهر السدير أو ما يسمى اليوم بنهر كرى سعد ، ويقع جنوبى النهر المذكور بمسافة قدرها (٣٠٠) متراً تقريباً ، ويبعد عن بدء آثار الكوفة الحادثة

(11) ص ١٥٨ طبعة إيران
(2) الجزء الأول ص ١١٣
(3) هذا ما أخبرنى به الأستاذ العلامة الشيخ محمد على اليعقوبى نقلا عن كتاب تاريخ الحيرة للسيد حسين البراقى النجفى وهو مخطوط موجود فى بلد الحيرة عند رجل تاجر يسمى بالحاج محمود البزار

على عهد الإسلام بمسافة تقدرها ستة كيلو مترات ، وعن بده آثار مدينة الحيرة بمسافة قدرها أربعة كيلومترات ، وعن النجف (١٢) كيلومتراً أيضاً . وتقع آثاره على أرض رملية جافة مرتفعة ومتصلة بسلسلة مرتفعات طف الحيرة ، ويبعد عن قضاء أبي صخير ستة كيلو مترات تقريباً من جهة الغرب ، كما يبعد عن آثار مدينة الحيرة القديمة (كنيدرة) بمسافة تقدر بأربعة كيلومترات تقريباً ، ويشرف على أرض منخفضة من أراضي الطف انخفاضاً يقدر بعشرين متراً تقريباً من جهة الجنوب الشرقي ، ويطل على مناظر جميلة من الرياض الرحبة والبساتين والأنهر . وإذا توجهت إليه من جهة الجنوب تراه واقعاً على قمة جبل مرتفع وهو يتصل من جهاته الثلاث الأخرى بأراض سهلة من أراضي كوفان الرملية ، فضاؤه رحب وهواؤه طلق ، مبتعداً عن آثار مباني المدن شأن قصور الملوك ، أما مساحة آثار هذا القصر فتقدر بعشرة آلاف متر مربع تقريباً بما في ذلك آثار المباني المندرسة والملحقة به والمرافق المتصلة فيه(١) .

(النجف — العراق) كاظم المظفر

(١) من مقال لمال الحاج عبد المحسن شلاشن تحت عنوان « الكوفة ويوم التاج » وقد نشر في مجلة الاعتدال بالعدد السابع من سنتها الثانية ص ٢٩٤ — ٢٩٥

هــــروب !.

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

كرهتِ حقائق دنيا الورى ... وهمت بأوهام دنيا الخيال
فما يتصبّاك إلاّ الرؤى ... وسحر الطيوف وسحر الظلال
متى يا ابنة الوهم تستيقظين ، متى ينجلى عنك هذا الخبال
أفيقى ، كفاك ، لقد طال مسراك عطشى وراء سراب الرمال

تعيشين فى ذهلة الحالمين ... بعيداً بآفاق كون عجيبِ !
ويعلو روحك فى قيده ... حنين الشوق وشجو الغريب
ومن فلك الأرض كم تطلقين ... خيالك فوق الفضاء الرحيب
يجوز مدارَ النجوم ويمعن ... فى اللانهايات ، عبر الغيوبِ

قفى ، أين تمضين؟ فيم اندفاعك ؟ من ذا ترين بأفق الشرودْ
وما هــذه ؟ رجفةٌ فى كيانك مما تشدُّ عليه القيود
تمرّد روحك فى سجنه ... يريد يحطم تلكِ السدود
ليسمو طليقاً خفيف الجناح ... وراء الزمان ، وراء الحدود !

قفى ، أين تمضين ؟ من ذا ترين هنالك عبر الفضاء العظيم
وماذا يشوقك ، أم من ينادى ويومئْ من شرفات السديم ؟!
تمرُّ أمامك هذى الحياة ... مواكبَ مختلفاتِ الرسوم
فتلوين وجهك لا تنظرين ... وفى مقلتيك ظلال الوجوم

ألا كم تهيمين فى عالم ... تناءى بعيداً بعيداً مداه
وفى عمق روحك شوق ملح ... جموح لظاه ، عنيف ظماه !
تراك هنالك تستلهمين السموات سر الردى والحياة !؟
تراك هنالك تستطلعين ... خفايا الوجود وكنه الإله !؟

ألست من الأرض ، فيم انخطافك ؟ فيم انجذابك نحو الأعالى !
أأنكرتِ فى الأرض هول الفناء ، وظلم القضاء ، وجور الليالى ؟
تراكِ افتقدت جمال العدالة ... فيها فهمت بأفق الخيال
محيرة والهاً تنشدين الحقيقة فى غامضات المجالى !

أراعك فى الأرض سيل الدماء وبطش القوى والرزايا الكبر ؟
أراعك فيها شقاء الحياة ... أراعك فيها صراع البشر
أمن صرخات القلوب الدوامى ... تعض عليها نيوب القدر
تلوذين فى لهف ضارع ... بكون تسامى نقى الصور !؟

بلى ، هى هذى المآسى الكبار تعذب فيك الشعور الرقيق
فتنأين عن واقع راعب ... إلى عالم عبقرى سحيق ..
ويمضى خيالك مستغرقاً ... هناك بتهويمه . ما يفيق ..
هو الوهم ، عالمك الشاعرى ، المثالى ، مسرى الخيال الطليق
توحّدت فيه بأشواقك الحيارى ... بهذا الحنين العميق !

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

لحظات فى سجن أبى العلاء :

... ...

جلست وصاحبى نتجاذب أطراف الحديث فى نواحى الحياة المختلفة من بقاء الجنس والنزوع إلى البقاء، وآراء بعض الفلاسفة فى الحياة، وساقنا الحديث إلى أبى العلاء، فذكرت لصاحبى قوله فى بقاء الجنس:

فليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء !

واسترسلنا فى الحديث فذكرت قوله فى النزوع إلى عدم البقاء :

تواصل حبل النسل ما بين آدم وبينى ولم يوصل بلامى باء

وأخيراً تطرقنا إلى رأيه فى الحياة، وحبه فى عدم البقاء، وتشاؤمه من الدنيا، فمررت لقوله :

دعانى بالبقاء أخو وداد رويدك إنما تدعو علىّ

فما كان البقاء لى اختياراً لو ان الأمر موكول إلىّ

فقال صاحبى : ما هى أهم صفة له ؟ فقلت : أعمى ! فارتسمت على وجهه علامة استنكار لهذا الرأى، وكأنه لم يرتح له، ولم يطمئن إليه ... ولذا جئت أسألك، وقد سبقنى إلى هذا السؤال شاعرنا الرصافى حينما خاطب الدكتور طه حسين قائلا : « لو لم يكن أبو العلاء أعمى، فما ذا يكون رأيه فى الحياة عند ذاك » ؟ !

دلك الله إلى الطريق السوى لطلاب المعرفة الحقة، وجعلك هادياً لمن يريد الهداية، وأدامك ما دمت مجيباً لكل سائل.

(ف . ع)

يوسفية — العراق

سؤال الأديب العراق الفاضل سؤال يجىء فى إبانه ... لقد قضيت لحظات فى سجن أبى العلاء قبل أن أتاق هذه الرسالة بأيام، وليس أحب إلىّ من أن أعود إلى أبى العلاء من حين إلى حين لأرجع إلى كثير مما قال، ولأراجع كثيراً مما قيل فيه، سواء أكانت المراجعة لأقوال القدامى، أم كانت لأقوال المحدثين .

إن شخصية أبى العلاء لتعد فى رأيى أهم شخصية قلقة فى الفكر العربى كله ؛ ومن هنا يلذ لى أن أعود إليه، كما تلذ لى العودة إلى الشخصيتين الأخريين المقابلتين فى الفكر الغربى، وأعنى بهما بودلير وليوباردى !

إن الشخصيات القلقة تستهوينى دائماً ؛ تستهوينى لأنها مصدر خصب من مصادر الدراسة النفسية، تلك التى تحيل الشخصية الإنسانية غرفة تشريح يتكشف بين جدرانها وتحت لمسات المبضع مكامن الداء ومنابع الانحراف ... إن هؤلاء الأعلام الثلاثة — وإن افترقوا فى الوطن والدين واللغة — إلا أنهم يلتقون فى ميدان واحد توجههم فيه نزعة نفسية واحدة : هى القلق ... والقلق — كما يقول صديق الأستاذ راجى الراعى — هو أبرز صفحة فى كتاب العبقرية !

لو قال الباحثون عن أبى العلاء إنه إنسان قلق لعبروا عن الواقع أدق التعبير، ولأحاطوا بكل جانب من جوانب شخصيته بهذه الكلمة الواحدة، ولكنهم ركزوا كل عنايتهم فى جانب واحد انتهوا منه إلى حكم عام ما لبث أن استقر فى الأذهان واطمأنت إليه النفوس ؛ هذا الحكم العام محوره التشاؤم فى شخصية الرجل وفى فلسفته على حد سواء !

من الخطأ — فى رأيى — أن ينسب الباحثون أبا العلاء إلى نزعة نفسية بعينها ليتفرد بها رليقف عندها لا يكاد يتعداها إلى غيرها من النزعات ؛ ذلك لأن أبا العلاء قد مال إلى التفاؤل كما مال إلى التشاؤم، ونصح بالإقبال على الحياة كما نصح بالإعراض عن الحياة، وآمن بالبعث كما أنكر إيمانه بهذا البعث، وأوصى بالزهد فى نعيم الدنيا كما أوصى بالإغراق فى هذا النعيم، ونادى بفكرة الزواج والنسل كما نادى بنبذ هذه الفكرة مقدماً من نفسه مثالا لهذا الحرمان !

أبو العلاء إذن لم تكن له « لافتة » واحدة « يعلن » فيها عن رأى واحد تتميز به شخصيته الفلسفية والإنسانية، ولكنه كان أشبه بالتاجر الذى يعلن كل يوم عن « صنف » جديد من أصناف « بضاعته » عقب وروده بلحظات !

نعم، فلم يكن أبو العلاء إلا تاجر آراء على التحقيق ... آراء

فلسفية مختلفة متناقضة لا تستطيع أن تصدق رأياً منها لتكذب الآخر ، فإما أن تقبلها جميعاً ، وإما أن ترفضها جميعاً ، أما أن تقف منها عند رأى بعينه لتخرج منه بلافتة كبرى هى « التشاؤم » فذلك أمر تثور عليه فلسفة أبى العلاء كل الثورة ، لأنها فلسفة الإثبات هنا وفلسفة الإنكار هناك ! إن وجه الشبه بين تاجر البضائع وتاجر الآراء هو أنك لا تستطيع أن تنسب الأول إلى صنف واحد مما يقدمه إلى الشارين ، ولا أن تنسب الثانى إلى رأى واحد مما يقدمه إلى المريدين ؛ وإنما تستطيع أن تنسب الأول إلى أصناف بضائعه كلها فتقول عنه مثلا إنه يبيع « البقالة » ، وأن تنسب الثانى إلى مجموعة آرائه كلها فتقول عنه مثلا إنه يبيع « القلق » ! وهكذا كان أبو العلاء فى حقيقة شخصيته وحقيقة فلسفته ... تاجر آراء ... فيها التشاؤم وفيها التفاؤل ، وفيها الإلحاد وفيها الإيمان ، وفيها الإقبال وفيها الإعراض ، وفيها الهدم وفيها البناء ، وكل تلك السطور المتناقضة يمكنك أن تضمها تحت عنوان كبير مكون من كلمة واحدة هى « القلق » !

هذا القلق هو الظاهرة الكبرى فى شخصية أبى العلاء ؛ فإذا أراد الدارسون أن يقتفوا آثاره ليصلوا إلى أسبابه ، فليس أمامهم غير حقيقة واحدة ، هى أن الذبذبة الفكرية ما هى إلا انعكاس مباشر للذبذبة النفسية ... وهذه هى المرحلة الثانية التى تدفع بهم إلى الباب الأخير ليفتح على مصراعيه !

ولنا بعد ذلك أن نسأل : ما هو المفتاح الأصيل الذى نعالج به هذا الباب لنضع أيدينا على سر تلك الذبذبة التى وجهت العقلية العلائية هذه الوجهة التى لا تطمئن إلى رأى ولا تستقر على حال ؟ أهو العمى ؟ أهو تلك الآفة التى أصيب بها وحرمته نعمة الضياء وردد وقعها على نفسه فى كثير من شعره ؟ !

إن العمى قد يبعث على الألم ، وقد يدفع إلى الشكوى ، وقد يحض على التشاؤم وكراهية الحياة ، ولكنه إذا سبب هذا كله لأبى العلاء ، فإن منطق الشعور لا يرتضى أن يخرج أبو العلاء عن دائرة الألم والشكوى والتشاؤم ، فما بال الرجل قد خرج عن هذه الدائرة وتذبذب بين الأمر ونقيضه ، وانحرف مرة نحو اليمين ومرة أخرى نحو الشمال ؟ !

ونعرض للمشكلة من زاوية أخرى فنقول : إذا مال الباحثون إلى الأخذ بهذا التفسير الذى يلتمس فى الآفة الجسمية سر النظرة إلى الحياة فهو تفسير غير مقبول ... فما أكثر المكفوفين الذين امتلأت حياتهم بالنور ، وامتلأت نفوسهم بالرضا ، ونظروا إلى الدنيا من خلال منظار أبيض يحيل الدمعة فى عيونهم فرحة وابتسامة ، وما أكثر المبصرين الذين نظروا إلى الدنيا من خلال منظار أسود فقضوا كل أيام الحياة وهم يتخبطون فى الظلام !

ليست الآفة الجسمية إذن هى مصدر هذا القلق الذى أقض مضاجع الفكر فى شخصية أبى العلاء ، ولكنه فيما أعتقد شىء آخر نفسر على ضوئه المشكلة دون أن نحمل النفسية العلائية ما لا تطيق ... إنك لو رحت تبحث عن سر القلق والاطمئنان فى كل شخصية إنسانية لما وجدته ممثلا إلا فى كلمتين : هما فراغ الحياة ، وامتلاء الحياة !

نعم ، وهذا هو المفتاح ... المفتاح النفسى البسيط الذى لا غموض فيه ولا تعقيد ... لو فرغت الحياة عند المبصر وغير المبصر لغدت فى رأى الشعور وهى مأساة تحفل باللوعة والألم والمتاعب ، ولغدا الفكر الثابت المستقر وهو نهب لزلزلة الرياح والأعاصير !

ولو امتلأت الحياة عند المبصر وغير المبصر لأصبحت فى رأى الشعور أملا كبيراً تتبخر تحت أشعته المتوهجة قطرات الهم والأسى وتفر أشباح الحرمان !

الفراغ فى حياة أبى العلاء ولا شىء غير الفراغ ، وعلى هديه نلتمس العلة الأصيلة لتلك الذبذبة النفسية ممثلة فى هذه الذبذبة الفكرية !

ولنا بعد ذلك أن نسأل : أى لون من ألوان الفراغ كان يشكو أبو العلاء ؟

إنها ثلاثة ألوان : فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ... ولك أن تردها جميعاً إلى الحرمان ؛ فنفس أبى العلاء كانت تشكو الحرمان من العطف ، وقلب أبى العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة ، وجسد أبى العلاء كان يشكو الحرمان من المرأة !

وقف طويلا عند هذا الحرمان الأخير ، فهو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله ، وعلة هذا القلق الذى وجه أبا العلاء ألف وجهة ، وحيره بين ألف رأى وعقيدة ، وقذف بعقله إلى

ألف درب من دروب الفـكر ، حيث يتجلى التناقض والتضارب والاختلاف !

هذا الجدب العاطفى فى القلب الإنسانى ، وهـذا الـكبت الطويل العنيف للنزوة الجنسـية ، هما فى رأيى — ولا شيء غيرهما — مركبا النقص الخطيران فى شخصية أبى العلاء ، ولا حاجة بنا إلى الحديث عن مركب النقص وأثره فى توجيه العقول والأفـكار !

لقد سألنى الأديب العراقى الفاضل : لو لم يكن أبو العلاء أعمى فا ذا يكون رأيه فى الحياة عند ذاك ؟

ترى أيحتاج بعد هذه الدراسة النفسية إلى جواب ؟ !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

أشكر للأديبة الفاضلة التى كتبت إلىّ مهنئة بشهر الصوم ، أشـكر لها هذه العاطفة النبيلة التى حملتها إلىّ سطور وكلمات ، أما عن سؤالها إذا كنت مسلماً أو مسيحياً فأنا مسلم والحمد لله .

ولو رجعت إلى بعض أعداد « الرسالة » لتأكدت من صدق هذه الحقيقة ! أما عن قضيتها الأدبية فأرجو أن تثق كل الثقة بأننى معنى بها كل العناية ، وسأبذل كل ما فى وسعى لأقنع « صاحب الأمر » بعدالة هذه القضية . وأنتقل إلى الرسالة الثانية التى تلقيتها منذ أيام من « دمشق » حيث يقول مرسلها الأديب الفاضـل عزة عثمان : « أود أن أتقدم بواجب الشكر وعظيم الامتنان ، لما أفدته من أبحاثك حول (الفن والحياة) ... لقد تفهمت تماماً — على الرغم مما قاله الدكتور طـه حسين — كل معنى قصدت إليه ، وقد توارد على فـكرى وأنا أقرأ ردك على كلمتى الأستاذين طه والحـكيم ، مايقول الأستاذ راجى الراعى : « جميلة هى الوجة المقتحمة الهائجة وأجمل منها الصخرة التى تردها ! » يا صديقى ، أشكر لك هذه التحية الـكريمة وأقول لك رداً على الأسـئلة التى وجهتها إلىّ : إن الترجمة القديمة خير من الترجمة الجديدة ، خير منها من جميع الوجوه التى عرضت لها فى رسالتك ، وأكتفى بهـذا القدر من الإجابة دون التعرض للأسماء حتى لا يحرج بعض الناس ! أما من رجائك فى أن أترجم لقراء الرسالة — ولو مرة فى كل شهرين — فصلاً أو قصيدة أو قصة أختارها مما بين يدى من نتاج كتاب الغرب ، فإننى أجيبك على هـذا الرجاء بأننى لا أميل كثيراً إلى الترجمة لأنها ميدان لا تظهر فيه الشخصية الفكرية كما تحب أن تظهر ، ولعلك تلمس من كتاباتى أننى إذا قرأت فصلاً من الفصول فى الأدب الغربى أو الأدب العربى حرصت كل الحرص على أن أقف منه موقف العارض والمحلل والناقد ، وأظنك توافقنى على أن الترجمة لا تحقق لى شيئاً من هـذا الشغف الذى فطرت عليه ! ومع ذلك فأنا أرجو أن أحقق هذه الرغبة يوماً لأنها رغبة صديق .

ولا بد من الشكر مرة ثالثة لصاحب الرسالة الثالثة ، وهو الأديب الفاضل محمد دويلة من « شرق الأردن » ... يا صديقى إننى أرحب بصداقتك وبكل صـداقة يمطرها الخلق والوفاء ، وإذا كانت « من الأعماق » و « من وراء الأبد » قد ربطتا بينى وبين كثير من القراء برباط المودة الروحية السامية فكم أود أن أكثر من هذا اللون الوجدانى ليزداد عدد الأصدقاء المتذوقين .

أما الرسالة الرابعة فهى من الأديب الفاضل محمد تميم بمصر الجديدة يقول الأديب الفاضل : « أرسلت إليكم كتاباً طلبت فيه شرح الخطوط الفنية التى درستم على ضوئها إنتاج الأستاذ سهيل إدريس القصاص اللبنانى فى العدد (٨٣٤) من « الرسالة » ، واليوم أعود فأطالبكم ثانية بهذا الشرح ، وأرجو أن يكون وافياً موضحاً بالأمثلة من كتاب القصة عندنا وفى الغرب » . إن ردى على هذه الرغبة هو أن بين يدى كثيراً من كتب الأدباء فى انتظار النقد وكثيراً من أسئلة القراء فى انتظار الإجابة ، فإذا أرجأت التعقيب بعض الوقت على هذا الموضوع فأرجو المعذرة !

كتاب جديد للأستاذ أحمد الصاوى محمد :

لست أدرى كيف أشكر للصديق الأثير الأستاذ أحمد الصاوى محمد هذه النعمة الروحية الخالصة التى غمرنى بفيضها حين أهدى إلىّ كتابه الجديد « بنات » ... إن الذين يعرفون الصاوى كما أعرفه ، يعرفون فيه إنساناً يضع قلبه على يديه ليقدمه إلى الناس فى غلاف من سمو العاطفة ، ومن هنا كان الصاوى فى أكثر كتاباته دقات قلب تسبق دقات قلم ، وبخاصة فى هذا الكتاب الجديد الذى كنت أود أن أقدمه إلى القراء فى هذا العدد لولا ضيق النطاق ، فإلى العدد القادم حيث أضعه على مشرحة النقد والتحليل .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ذكريات منسية:

جاءت ذكريات ثلاثة من أعلام النهضة الأدبية والفكرية بمصر في الأسبوع الماضي، وهم الشيخ محمد عبده، والمنفلوطي، وحافظ ابراهيم، فما ذا لقيت هذه الذكريات من اهتمام ؟

أما الشيخ محمد عبده أستاذ الأساتذة والرائد الأول لإصلاح الأزهر، وناقض الغبار عن الفكر الإسلامي في العصر الحديث، فقد انحصر إحياء ذكراه في حديث عنه للدكتور عثمان أمين بالإذاعة يوم الذكرى الموافق ١١ يولية الحالي، وكذلك السيد مصطفى لطفي المنفلوطي الكاتب الإنساني الذي أحبه كل قارئ وقرأه كل شاد في الأدب، إذ كان كل نصيبه من الذكرى حديث عنه للأستاذ محمد خلف الله أحمد يوم ذكراه الموافق ١٢ يولية الحالي، أما حافظ ابراهيم شاعر النيل الذي ظل حياته يشجى بالتعبير عن أوجاع مصر، فقد نسيته مصر وتجاهلت ذكراه الموافقة ٢١ يولية الحاضر، وأنكرته الإذاعة كأنها لا تعلم أنه كان في مصر شاعر اسمه حافظ ابراهيم !

وقد اقتربت ذكرى أمير الشعراء أحمد شوقي بك، ولا بد أن الإذاعة ستستعد لإحيائها كما تفعل كل عام بذلك البرنامج الحافل الذي يتلخص في إذاعة فصل من مسرحية مجنون ليلى، وإدارة (اسطوانة) يا جارة الوادي، وجفنه علم الغزل !

منذ شهور احتفلت سفارة الباكستان في القاهرة بذكرى شاعرها الكبير محمد إقبال، وكان ذلك فرعاً أو مشاركة للمهرجان الكبير الذي أقيم في الباكستان للشاعر العظيم، ومن نحو شهرين تألفت لجنة في مصر للاشتراك في إحياء ذكرى الموسيقى العالمي شوبان، واجتمعت هذه اللجنة في وزارة الخارجية، ووضعت برنامج الاحتفال الذي سيكون في سبتمبر القادم، ومنذ قليل تلقت وزارة المعارف من هيئة اليونسكو كتاباً يتضمن أنها ستحتفي بذكرى الشاعر الألماني جيته وتدعو مصر إلى الاشتراك في إحياء ذكراه، ونشرت الصحف أن الوزارة أخذت في العمل على تأليف لجنة من الأدباء والفنانين المصريين للاحتفال في مصر بذكرى جيته.

ولو ذهبنا نسوق الأمثلة لاهتمام الأمم والدول بذكريات أعلامها من الأدباء والفنانين والمفكرين لطال المقام، كما يطول بسياق الأمثلة لجحود مصر ونسيان الراحلين عنها بعد أن وفوا بأداء رسالاتهم فيها، والعجيب أن تهتم بمشاركة غيرها في الاحتفال للذكريات وهي لا تهتم بذكريات أبنائها !

وجدير بالغير ألا يهتم بهم ما دامت هي غافلة عنهم !

والتقصير في ذلك يرجع إلى الجهات الحكومية وإلى الهيئات الأهلية، أذكر من الأولى وزارتي المعارف والشؤون الاجتماعية والإذاعة، وبختص الأزهر بالتقصير في جانب الشيخ محمد عبده!

وما أكثر الجمعيات الأدبية والثقافية في مصر، وما أقل الأدب والثقافة فيها ! وإن أليق شيء بها أن تقوم بإحياء ذكريات الأدباء والمفكرين.

ولا ينبغي أن يهمل ذكر الصحافة في هذا التقصير، فإنه لا تعني كلمة هنا ونتفة هناك، ولا شيء هنا وهناك ...

وكذلك الكتاب الذين عاصروا وعاشروا الشخصيات التي نسيت ذكرياتهم، وهم أولى الناس بأن يذكروها.

وأعتقد أن أولئك الراحلين ليسوا في حاجة إلى تلك الحفاوات والاحتفالات، إنما تنفع الذكرى الأحياء بما يجلى عليهم في إحيائها من آثار أدبية ومثل عالية في حياة من تحيا ذكرياتهم، فهي للجيل الحاضر معرض رائع من صور الإنسانية الراقية في حياة الماضين ومما يلابسها من آداب وعلوم وفنون ... فاذكروا الأحياء بذكرى الأموات !

تعليم العربية في جنوب السودان:

رددت الصحف أخيراً أنباء خلاف وقع في السودان بين وزير المعارف هناك السيد عبد الرحمن علي طه وبين

السلطات البريطانية على دراسة اللغة العربية فى مدارس السودان الجنوبى ، وقالت الأنباء إن "سيد عبد الرحمن قام برحلة إلى الجنوب تفقد فيها حالة التعليم هناك ، ولما عاد إلى الخرطوم رأى ضرورة اعتبار اللغة العربية لغة أساسية فى مدارس الجنوب وهذا النبأ يدل على حقيقة تدعو إلى الأسف ، وهى أن أهل السودان الجنوبى يعلّم من يعلم منهم بغير اللغة العربية ، بالإنجليزية طبعاً . . ولكن الإنجليز لا يشاركوننا هذا الأسف بطبيعة الحال ، بل هم يدهشون لاجتراء وزير المعارف السودانى على الاهتمام باللغة العربية واتخاذها مادة أساسية بتلك المدارس ، ولا بد أن يعارضوا فى ذلك ويلتمسوا لمعارضتهم أسباباً تحمل (ماركة) البرود الإنجليزى المشهورة ... قالوا : إن هذه خطوة سابقة لأوانها ! واعتلوا بعدم وجود مدرسين للغة العربية ملمين باللغة المحلية الجنوبية .. ومعنى هذا وذاك باللغة العربية الفصيحة ، أنه يجب ألا يتعلم السودان الجنوبى إلا الإنجليزية ولا تفتح أبوابه إلا للارساليات المسيحية التبشيرية ، أى يجنب كل ما يربطه بالشمال من تلك الروابط التى تقلق البال البريطانى

ولعلك تعلم أن فى (ملكال) من جنوب السودان مدرسة ابتدائية مصرية أنشأتها وزارة المعارف المصرية منذ سنوات هناك حيث توجد إدارة الرى المصرى ، وأن هذه المدرسة يعلم فيها معلمون مصريون أبناء الجنوب باللغة العربية ، ويمتحن تلاميذها فى امتحان الشهادة الابتدائية المصرية ، وقد نجحت جهود هذه المدرسة نجاحاً ملحوظاً . فهل المعلمون المصريون يفهمون اللغة المحلية فى جنوب السودان أكثر مما يفهمها معلمو شمال السودان ؟

ثم كيف توافر معلمو اللغة الإنجليزية الذين يعرفون لغة أهل الجنوب دون أن يتوافر مثلهم معلمون للغة العربية ؟ إذا كان معلمو الإنجليزية من السودانيين الشماليين فحكمهم حكم من يعلمون اللغة العربية من مواطنيهم ، وإن كانوا من الإنجليز فما أحسبهم يدعون أن هؤلاء هم الذين أوتوا القدرة على فهم لغة الجنوب .

إن ما يبديه البريطانيون فى السودان بهذا الصدد إنما هو تعلات يقصد بها الوقوف فى وجه الثقافة المصرية خاصة ووجه

كشكول الأسبوع

□ سبق أن أشرنا إلى موافقة مجلس كلية الآداب على تعيين الأستاذ عبد الوهاب حمودة أستاذاً لكرسى شوقى . ونضيف الآن إلى ذلك أن المذكرة المعدة لهذا الغرض تتضمن أن يكون ذلك ترويه للأستاذ على أن تسند الدراسة نفسها إلى أستاذ كبير غير متفرغ قد يختار من الأساتذة الذين أحيلوا إلى المعاش . وقد رفع الموضوع إلى مجلس الجامعة .

□ الصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد العريان أديب مرزأ ، وآخر ما حدث له أن سطا بعض اللصوص على داره فسرقوا ما يقدر بنحو مائتى جنيه . وقد رفع هذا الحادث رؤوس الأدباء إذ أثبت أن فى بيوتهم ما يطمع السارقين ... لا أخلى الله بيت الأستاذ مما يسرق ، على ألا يسرق .

□ استقر الرأى فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية على إخراج معجم فيشر ، وهو المعجم الذى كان يشرف عليه فى المجمع الدكتور فيشر المستشرق الألمانى ، وانقطع العمل فيه بانقطاعه عن مصر فى خلال الحرب حتى توفى أخيراً . وتقوم فكرة هذا المعجم على بيان معانى الكلمات فى تراكيبها المأثورة . وقد شكلت لجنة من بعض موظفى المجمع لمراجعة ما خلفه فيشر من قصاصات وأوراق خاصة بالمعجم . وتتجه الرغبة إلى أن يتولى إعداده للطبع أحد المستشرقين الذين اشتركوا مع فيشر فى هذا العمل .

□ جاء من باريس أن مدير جامعة باريس أقام مأدبة غداء تكريماً للدكتور طه حسين بك حضرها جماعة من رجال الفكر فى فرنسا ، كما حضرها سفير مصر فى باريس الذى أعرب عن اغتباطه بما سمع من تنويه المثقفين الفرنسيين بمواهب الكاتب المصرى الكبير وإعجابهم بمؤلفاته التى ترجم كثير منها إلى اللغة الفرنسية .

□ وجاء من باريس أيضاً أن الأب جومييه عضو المعهد الفرنسى بالقاهرة ألقى محاضرة عن مصر بين فيها خطأ السائحين فى قصر اهتمامهم على الآثار الفرعونية ، فقد تعاقبت على مصر حضارات أخرى كحضارة البطالسة والحضارة الإسلامية ، وخلفت فيها آثاراً جديرة بالاهتمام ؛ وكذلك ينبغى الوقوف على مظاهر التقدم الحديث فى مصر .

□ يهتم الفنيون فى وزارة المعارف بمعرض (مصر — فرنسا) الذى يفتتح فى ٢٦ سبتمبر القادم بباريس ، وذلك من حيث اشتراك مصر فى معروضاته والإشراف على تنظيمه وسيحضر افتتاحه معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف ، وقد ندب بعض موظفى الوزارة للسفر إلى باريس للاشتراك فى الإجراءات التمهيدية لافتتاح المعرض

انتشار التعليم على العموم ، فهم لا يريدون تعليماً يستنير به المتعلمون وإنما يريدون تعليماً «يحلنز» وحسب . وزمام الإنجليزية في يدهم يطيعون من يعلمونه بها كما يشاءون ، بخلاف الأمر في تعليم العربية غير المأمون.

وتلك « التعلات » ليست جديدة علينا ، فقد سمعناهم من عهد قريب يقولون — لمعارضة التوسع في إنشاء المدارس المصرية بمدن السودان — إنه ليس من مصلحة البلاد تعدد الثقافات فيها وقد فندت هذا القول في حينه . ثم خطب بعد ذلك معالى الأستاذ علي أيوب وزير المعارف في حفلة نهاية العام الدراسي الماضي بكلية فيكتوريا الإنجليزية فقال إنه يرى نجاح هذه الكلية في مصر دليلا على فائدة تعدد الثقافات !

وكانت هذه رمية مسددة من معاليه كان أحرى بالإنجليز في مصر أن يبعثوا بها إلى زملائهم في السودان ، ولكنهم لم يفعلوا لأنهم يوقنون أن ما يقوله الزملاء هناك إنما هو « تعلات ».

وبعد ، فإني أبعث إلى السيد عبد الرحمن علي طه بتحية من شمال الوادي ، لتشدده في أن تدرس اللغة العربية دراسة أساسية في جنوب السودان ، تشدداً بلغ حد التهديد بالاستقالة ، ويبدو من آخر الأخبار أنه مصر على رأيه وأنه أدنى إلى النجاح فيه ، وهو موقف مشرف ينظر إليه التاريخ نظرة ملؤها الاحترام والاعتبار .

مركب إذاعة :

إذا رأيت في الصحف أو سمعت في البرلمان نقداً للاذاعة ينصب على تقصيرها في مسألة من المسائل التي يجب أن تهتم بها ، فلا بد أن ترى على أثر ذلك في مجلة الإذاعة المصرية — إن كنت تراها — أن إذاعتنا مهتمة بهذه المسألة أكبر الاهتمام ولم تتوان عن أن تتخذ فيها كيت وكيت ، وذلك بأسلوب يجتهد فيه كاتبه أن ينطلي موضع المؤاخذة بالتعميم والتهويش دون أن يحرج نفسه بالتفصيل والتبيين ؛ وبذلك تحاول الإذاعة أن تموض النقص ، ولكنها تركبه ..

وآخر مثل لذلك ما أخذه الكتاب على الإذاعة من تقصيرها في تسجيل روايات نجيب الريحاني المسرحية ، وكانت الإذاعة تذيعها من مسرحه ، فكان أن توفي ولم يسجل له عمل مسرحي .

ثم طلعت مجلة الإذاعة في الأسبوع الماضي (عدد ٧٤٥) تقول إننا سنقدم قريباً رواية للريحاني ، وأعقبت ذلك بأن الإذاعة المصرية تحتفظ بتسجيلات وافية لأصوات العظماء والأدباء والفنانين ، وأنها لم تقصر في هذا المضمار .

وتوهم المجلة بذلك أنها سجلت شيئاً للريحاني ، دون أن تحرج نفسها بذكر اسم الرواية ، على طريقتها التمويهية المتقدمة .

وأخيراً ، يوم الخميس الماضي تمخض المذياع فنقل من سينما استديو مصر فلم (سي عمر) لنجيب الريحاني !

وكفى الفلم الإذاعة عناء التسجيلات ! !

عباس خضر

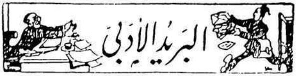
□ أعلنت سفارة الباكستان في القاهرة عن حاجة الإذاعة الباكستانية إلى مدير للقسم العربي بها ومساعدين له ، وذكرت الشروط التي يجب توافرها — من حيث الكفاية والمؤهلات ... فيمن يتقدم لهذه الوظائف . والشروط في جملتها لا تتحقق في واحد من كبار المشرفين على إدارة الإذاعة المصرية وخاصة المراقب العام .

□ كتب الأستاذ سلامة موسى في « النداء » يوم الثلاثاء الماضي مقالا حمل فيه على من يسمى دولة إسرائيل (مزعومة) « لأنه بهذه الكلمة يحملنا على الاستهانة بهذه الدولة الجديدة التي تحاول أن توجد مجتمعاً علمياً وحكومة علمية وأخلاقاً علمية » كما قال : وهذه عينة أخرى من الأفكار الحرة « المزعومة » التي يدافعون عنها في رابطة اللا أدباء .

□ ظهر العدد الأخير من مجلة الإذاعة المصرية ، وعلى صفحة غلافه الأولى صورة مسجد ، وعلى صفحة الغلاف الثانية صورة امرأة عارية (بالمايوه) — خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً .

□ أعلنت جريدة الزمان بجريدة الأهرام عن مسابقة شعرية تجريها في (ركن الأدب) بها بين الشعراء الناشئين . ولعل الجريدة ترمي بالإعلان في زميلة أخرى وعدم الاكتفاء بالنشر فيها إلى أن تنبه من لا يقرؤها من الشعراء الناشئين إلى المسابقة . وقد رأيت أن أتمم لها هذا الغرض بهذه النبذة .

□ أنشأت الجالية اللبنانية بمدينة مكسيكو مدرسة عربية ، وقد بلغ عدد تلاميذها ٢٥٠ وكلهم من أبناء المهاجرين العرب الذين يرغبون في درس لغة وطنهم الأول .



بيان وتنبيه !

١ — قرأت للمرة الأولى كتاب التصوف وفريد الدين العطار للدكتور عبد الوهاب عزام بك مع نقده فى مجلة الكتاب الغراء ، وقد طلب الناقد الكشف عن فقرة فشرحتها ، ولم يتيسر إيضاح الفقرة الثانية .

ثم قرأته للمرة الثانية ولا زالت تلك الكلمة أمام ناظرى ، حتى تبين لى وجه الصواب فيها . وتلك الكلمة هى قول الجنيد كما وردت فى الكتاب المذكور « ليس الاعتبار بالخرقة ، إنما الاعتبار بالُحرقة » .

وقد قال الناقد عنها فى مجلة الكتاب «وهذا يدعو أن نسأل الدكتور عن تساهله أحياناً فى إيراد القول الواحد على وجهين قد لايتأثر بهما المعنى، ولكن تتأثر بهما إرادة التحقيق، فقد روى فى ص٢٩ عن الجنيد أنه قال : ليس الاعتبار بالخرقة ، إنما الاعتبار بالُحرقة » وفى ص ٣١ ذكر أن الجنيد قال : إنما الاعتبار بالحرقة وليس الاعتبار بالخرقة «ومؤدى الروايتين وملفوظهما يكاد يكون واحداً لولا الفرق بين إيراد النفى أولا والحصر ثانياً وما يتبع ذلك من فرق دقيق فى المعنى من حيث علم المعانى ... » .

وأقول : إن الصوفية همهم العمل ظاهراً وباطناً ، فظاهراً الاحتراف وعدم الكسل ، وباطناً تنقية النفس من أدرانها حتى تكون العبادة على صفاء . وقد كان الأكابر من رجال الطريق عند ما يأخذون على أحد العهد يقرونه على حرفته ويطلبون منه عدم تركها والإحسان فيها . ولذا كان الخواص يقول : إن الذى يأكل من كسبه ولو مكروهاً كالحجام أحسن من المتعبد الذى يأكل بدينه ويطعمه الناس لصلاحه . وكان رضى الله عنه لا يجيب فقيراً إلى طعامه إلا إذا علم أن له كسباً شرعياً من تجارة أو زراعة أو صنعة . وقد سأل شخص من الأمراء أن يعمل له مولداً فأبى الشيخ وقال : والله إن كسبى من هذا الخوص لايجيبنى الأكل منه ، فكيف آكل من كسب الأمراء أو أدعو الناس إلى الأكل منه !

مما ذكر يتضح أن التصوف الحق هو العمل وهو المراد من قول الجنيد رضى الله عنه . وصحة قوله هو : ليس الاعتبار بالخرقة ، أى بلبس ثياب المتصوفة ، إنما الاعتبار بالِحرفة أى الصنعة . بمعنى أن الدين الصحيح والعبادة الحقة ليس لبس الإنسان لباس التقشف والمعيشة على حساب الغير وترك التكسب ، وإنما هو الإحتراف ومنفعة العباد ، فلا خير فى شخص لا فائدة فى حياته . وهذا نبى الله داود عليه السلام مع مرتبته « كان يأكل من عمل يده » .

فالعمل فى نظر المتصوفة هو الحياة ، ولا خير فى حياة بلا عمل .

٢ — ظللت أرتع فى رياض كتاب « عبقرية محمد » للأستاذ عباس محمود العقاد وأستمتع بالنظر إليها وبأريجها ، وبما فيها من جمال وجلال ، ولكنى وجدت نبتة صغيرة — ليس لها مكان — يسهل اقتلاعها إذ لا يصح أن يشملها هذا الروض العطر .

وأنصح فأقول وجدت حديثاً فى ص٢٣٩ وهو « كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ... » .

وهذا الحديث القدسى ليس مذكوراً فى الكتب المعتمدة فى الحديث ، وقد قال عنه ابن تيمية : ليس من كلام النبى عليه السلام ولايعرف له سند صحيح . «وتبعه الزركشى وابن حجر والسيوطى وغيرهم ، ومن المتأخرين من أفتى ببطلانه . ولو ورد على لسان بعض المتصوفة فليس لبعضهم باع فى ذلك وقد قال أحد أكابرهم وهو الغزالى « أنا مزجى البضاعة فى الحديث » . ولأن مدار صحة الحديث على السند ، وهذا الحديث الذى ممنا لا سند له .

ولو خلا منه كتاب الأستاذ العقاد لما أثر فيه ولما ذهب من جماله شىء بل يزيده جمالاً فوق جماله .

(شطانوف) محمد منصور خضر

حب عذرى :

يكاد يجتمع الكاتبون فى عصرنا على أن الحب الطاهر لم

بعد له وجود إلا فى بطون الكتب ، وخيالات الشعراء ، وأدمغة المحررين ، ويرون أن الحب إن كان بالأمس سمواً بالنفس عن الدنيات ، وانتفاعاً بالروح عن أوضار التراب ، فإنه اليوم شهوة جسد إلى جسد ، ورغبة جنس فى جنس ، قالوا ، ولا يدعى الهوى الطاهر إلا أحد رجلين إما مجنون أو مغالط .

وقد حدثنى صاحبى – وما عهدته يكذب – بقصة أسوقها لقراء الرسالة ، أنا أعلم أن الجم الغفير منهم سيزم شفتيه ، ويجحظ بعينيه ، ويرسل خياله فى الأفق ثم يقول : أين ، ومتى ؟ وأن القليل ، أو الأقل من القليل، سيتفاءل ، ويقول : يحتمل، ولكننى على كل حال واثق من صدق صاحبى ، مؤمن بما قال ، وقد أوجز قصة صاحبته فقال : هى فتاة لم تبلغ العشرين من عمرها ، وهذه السن هى سن الطيش والنزق عند الفتيان والفتيات ، ولكن هذه الآنسة أثبتت بسلوكها أن الفتاة المتدينة المحافظة ، المترفعة بنفسها ، الخاضعة لكبريائها ، تستطيع أن تكون قوية الإرادة ، صادقة العزيمة ، فلا تندفع وراء عواطفها ، ولا يجرفها التيار ، رأته فأحبته ، أحبته حباً شديداً ملك عليها نفسها ، وسيطر على مشاعرها ، وكما يقول الرافعى رحمه الله : « أراه حباً قالقاً كبدى » كان شاباً مديد القامة ، أبيض الوجه ، مفتول العضل، وكان فوق ذلك (فناناً) ، أحبته ، وتطلعت نفسها إليه ، وأوشكت أن تنزل إلى الشارع لتتحدث إليه ، وتنعم بقربه ، ولكنها – بعد جهاد نفسى عنيف – خضعت لكبريائها ، ونزلت عند تقاليد أسرتها ، فآلت على نفسها أن تتجلد ، وتتحمل ، وأن تترك حبه يفعل فى نفسها ما يفعل .

قال صاحبى : وأتيح لى أن أطلع على سرها وأن أتحدث إليها فيه ، فسألتها مرة : كيف عرفت هذا الفتى ؟ قالت : رأيته يروح ويغدو إلى مدرسته فى هدوء الفنان ، قلت : ما اسمه ؟ قالت : ذلك اسم مقدس ، لا أسمح لنفسى أن تنطق به ، ولا أبيح لغيرى أن ينطق به أمامى ، قلت : هل تريدينه زوجاً لك ؟ قالت : لا . إنه جميل ، إنه أجمل منى ، وأنا لا أصلح له . إن كل ما أرجوه أن يبلغ قمة الشهرة فى فنه ، وأن يتزوج بفتاة جميلة تسعده ، ولا أريد أن يضحى بعواطفه فى سبيلى . قلت : كأنه يحب أخرى ، قالت : نعم ، قلت : هذا شاب صغير النفس ، قالت تريد سيدى ، أرجو أن تتأدب فى الحديث عنه . إننى أحبه حباً خالصاً ، لا أريد من ورائه ما تريده الفتيات أمثالى ، وسأظل وفية له ، ولو أحب مائة فتاة أخرى . ويا حبذا لو استطعت أن أقدم إليه ما يساعده على بلوغ آماله .

تلك هى قصة هذه الفتاة المثالية ، فما رأى قراء الرسالة ؟

على العمارى

الجمع بين الأختين :

ورد فى القصة التى نشرتها السيدة بنت الشاطىء فى مجلة الهلال لشهر حزيران (يونيه) إن الزوج قد جمع بين أختين فى زواج واحد ، حيث قالت الكاتبة : (حيث شاع فى الحى بعد حين أنه تزوج من أختها وهى أرملة ...) وجاء أيضاً فى الصفحة ذاتها (... فسكنت حيث هى ، تغض عيناً على طفلتها ، وترسل الأخرى وراء الزوج والضرة الأخت وبنتها) .

ولما كان أدب القصة يقضى أن تكون القصة منتزعة من صميم المجتمع مصورة تقاليده ، واعية شعائره ، ممثلة لشتى النزعات والخلجات التى تدور فى نفوس أشخاصه لكى يسهل أداء الرسالة وتحقيق الغاية التى يهدف من ورائها القاص . ولست أدرى كيف غرب عن بال الكاتبة الفاضلة أن الجمع بين الأختين محرم فى الشريعة الإسلامية السمحة ، إذ أن القاعدة فيها أنه يحرم الجمع بين امرأتين لو فرض أحدهما ذكراً حرمت عليه الأخرى ، كالجمع بين الأختين وبين امرأة وعمتها أو خالتها أو بنت أخيها أو بنت أختها . لأنه لو كانت أحداهما رجلاً « كانت الأخرى أخته أو عمته أو خالته أو بنت أخيه أو بنت أخته وذلك لقوله تعالى فى كتابه الكريم : (وأن تجمعوا بين الأختين) . ولقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها ، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » وبهذه المناسبة أقول إن الجعفرية تذهب إلى أنه يجوز للرجل أن يتزوج على امرأته بنت أخيها أو بنت أختها برضا من امرأته . وبعمتها وخالتها مطلقاً قاصرين الجمع على ما ورد فى النص .

هذا وللكاتبة الفاضلة ولصاحب (الرسالة) الغراء جزيل الشكر

(بغداد – كرخ) محمد العبطة المحامى



قصة من لبنان :

رفيق عـــلام ...

[مهداة إلى الصديق الأستاذ أنور المعداوي]

للأستاذ سهيل إدريس

كانت تشدني إلى رفيق علام صداقة مخلصة وثقت أواصرها خمسة أعوام تلازمنا فيها تلازم الظل وصاحبه . فلم يكن عجباً أن أدرك من شأن رفيق ، ويدرك هو من شأني ، مثل الذي يتاح للاخ من أخيه . وقد كانت طبيعة عملنا التجاري الواحد ، وتجاورنا في السوق ييسران لنا اللقاء ، كلما وجدنا من وقتنا سانحة . وكنا إلى ذلك نتواعد على قضاء سهراتنا في الملاهي ، فيجد كلانا أن صاحبه أقرب إليه من نفسه .

والحق أن صديقي رفيق كان شاباً وسيماً جذاب الملامح ، ممشوق القامة ، تحسبه إذا ما رأيته من أولئك الذين يختارون اختياراً لتمثيل الأفلام السينمائية ... وكانت الملابس — إذا ما ارتداها — تكتسب أناقة ليست هي من طبعها ، فتجتذب إليه أنظار النساء قبل الرجال .

وكان يسعدني أن يجد رفيق فيّ وأجد فيه مستودعاً ينفض كلانا عنده ذات نفسه ، فكنا نتعاون على شؤوننا ونتبادل المشورة في الشجون ، حتى لم يكن أحدنا يحبس عن صاحبه خبيئة ، وقد أتيح لي بفضل ذلك أن أقف من حياة صديق على نفسية شاب تمد نموذجاً بشرياً في حياة الناس .

* * *

لقد تابعت عن كثب قصة حبه الأول ، ذلك الحب الذي كانت بطلته فتاة أقسم أني لم أر أجمل منها في النساء اللواتي أعرف وأرى . وقد عاش رفيق هـذا الحب بكل ما في أردانه من طاقة الحيوية وبقصارى ما تنطوي عليه جوانحه من رصيد الشباب وحميا الفتوة ؛ ثم تحطمت كأس الحب في يده ذات يوم ، لشدة ما عصرتهـا أصابعه ، فخرج من ميدان المعركة مثخناً بجراحات دامية ، لا يكاد يملك وعيه من فرط ما كانت تورث في نفسه من آلام . ولما اندملت الجراحات حسب أنه شفي ، وأن بوسعه أن يستأنف طريقه أثبت قدماً ، وآمن غاية .

ولقد سلك هـذه الطريق حقاً ، ولكني رأيته يتهاوى على الجانبين ، فأدركت أن آثار الصدمة لا تزال تفقده توازنه .

كنت أعرف الأثر الذي تركه حب « مها » في قلبه وكيانه ونفسه . كنت أعرف عمق هذا الأثر ؛ فلم يكن بدعاً أن يبدو أعمق منه جرح خيانتها إياه ، في أعنف فترة من فترات حبه . وقد بلغ من شـدة هذه الصدمة أن رفيق لم يحدثني عن الخيانة إلا مرة واحدة بكلمات قليلة مقتضبة ، كأنما كان يرغب في أن يوفر على نفسه العذاب الشديد الذي تبتعثه ذكراها ...

ومنذ ذلك اليوم ، تبدى لي صديقي كالشبح التائه الحائر ، يسير دون أن يبين مقصداً ومن غير أن يستشرف محجة . كان كهؤلاء الذين كتب عليهم أن يقضوا حياتهم هائمين سادرين ، في طريق ضالة ، يتناولون الأحداث كما تأتي ، ولا يفكرون بغير اللحظة التي يحيون .

على أن شيئاً من ذلك لم يكن ليبدو في ظاهر الحياة التي يسوقها صديقي ... بل لقد كانت آثار السعادة وآيات الرضى والمرح بادية على وجهه ، حتى تحسبه قد طرح عنه هموم الدنيا وتدرع باللامبالاة واتخذ من الحياة كلها أداة لهو ومتعة ... أفيكون هذا رد فعل عنيفاً للصدمة النفسية التي حطمت أعصابه وأوهنت قواه ؟

ولعل أعجب ما في أمره أن سعادته تلك كانت تتجلى أكثر ما تتجلى إزاء مبعث شقائه الناعض ومصدر ألمه المكنون .. إزاء المرأة نفسها ... سعادة ترتسم بسمة على ثغره لا تغيض ، ومرحاً في عطفه لا ينفد .

وكنت كلما لقيته أستمع إليه يحدثني عن مغامراته فيصدقني الحديث ، فلا أعجب من أن تقبل عليه الفتيات كلفات بحبه

شديدات الإعجاب بشبابه ، وكان هذا يتيح له أن يحظى من المرأة بما تمتنع عن بذله غالب الأحيان .

وقد كنت موقناً أن صديقي يطلب في المرأة أول مايطلب الجمال الفاره ، والفتنة الطاغية ، وكان سرعان ما ينصرف عن الفتاة التي لم يجد عليها القدر بحظ بالغ من الجاذبية والحسن . وقد عرفني ذات مساء بفتاة في متجره ظلت صورتها مطبوعة في عيني طوال تلك الليلة ، ولم أستطع أن أخنق شعور الحسد الذي داخلني منه ! كانت « سميرة » — وهذا هو اسمها — ذات عينين تنفثان السحر ، وملامح تعجز يد الفنان النابغ عن أن تخط مثلها في الدقة والانسجام ، وقامة نحتت في قالب صناع .

وأقبلت على رفيق في اليوم التالي أسائله ؟

— إنها لجديرة بك حقاً ... فما تنوي أن تفعل ؟

فانتفض يقول : — أتزوجها ؟ أهذا ما تعنيه ؟

فأومأت برأسي إيجاباً ، فإذا هو يصمت لحظات ، ويرنو إلى بعيد فلا أرى في عينيه غير الشرود . إنه لم يفكر في هذا من قبل ، وها هو ذا غير مطمئن ولا مستقر ، كأنما كانت تخيفه فكرة الزواج .

وكان هذا شأنه أيضاً يوم سألته لماذا لا يخطب ابنة عمه التي كانت تهوى إليه بكل ما في كيانها من حب ، وكانت تنعم بحظ وافر من الجمال والأناقة والثقافة ... وقد حدثني هو نفسه عنها ، ولم يخف على أنه معجب بها ، وأنه سعيد في أن يشعر نحوها بالحب ، ولكني إذ جابهته بفكرة الزواج ، ألفيته يعود إلى حيرته وتردده ، كأنما لم يكن له الخيار في أمره ...

على أن صديقي أخفى عنى أمراً واحداً ، هو أنه كان على علاقة بفتاة ثالثة لم يحدثني عنها لحظة ، وقد رأيته في صحبتها غير مرة في مطعم أو ملهى ... وفاجأته ذات مساء بذكرها فمراء الارتباك ، ثم أخذ يضحك قائلا :

— لم أحدثك عنها خجلا منك ... إنني أبالغ حقاً في علاقاتي مع النساء !

— فبادلته ضحكته ، ولكني لم أجرؤ على مصارحته بأني بت أخشى عليه كل الخشية ، وإني أود لو يقر في حياته على قرار ... هكذا كان رفيق : تحسبه إذا رأيته سعيداً مرحاً راضيا ، فإذا أحببت أن تكشف عن دخيلته ، ألفيت فكره وحسه غارقين في أمواج متلاطمة من الحيرة والشك والاضطراب .

لقد كنت أقرأ في عينيه أنه شقي في أعماقه ، وأنه لا يدرى هو نفسه ما الذي يريد . وكان هذا الاضطراب مسطراً في نظراته الشاردة التي لا تستقر على معنى ... بل كنت ألاحظ أنه كان يحاول جاهداً أن يتفادى النظر في عيني والتحديق بهما ، كأنما كان يخشى أن أشرف من عينيه على عالمه النفسي المتهافت ...

ولم أجد آخر الأمر مناصاً من أن أجابهه برأيي الصريح ، فانتهزت فرصة أدركت أنه كان متهيئاً فيها للبوح والبث ، وسألته بلهجة لا تخلو من تعنيف :

— إلام تنتظر يا رفيق ؟ ألست راغباً في أن تستقر بحياتك على قاعدة ؟ إنك الآن في فجر شبابك ، وإن بيدك المال وافراً ، فلماذا لا تتزوج إحدى فتياتك الثلاث ، وكلهن رائعات الحسن ، فتحظى بالطمأنينة التي تفتقر إليها ؟

وحاول أن يضحك وأن يعمد إلى المزاح ، ولكنه سرعان ما انقبضت أسارير وجهه ونظر إلى بإحداد ، ثم قال بعصبية :

— لا ... لست أطمع في واحدة منهن ... إنهن لسن جميلات ... وأنا لا أحب إحداهن ولست أرغب في الزواج .

وحين حاولت أن أظهر له خطأ نظرته إلى جمالهن قاطعني يقول :

لا ... ليست واحدة منهن في مثل جمال « مها » ، ويخيل إلى أني لن ألقى بعد الآن فتاة جميلة مثلها ، وإني سأبقى أبد الدهر أعزب.

كان هذا كل ما نطق به تلك الليلة ، ثم انصرف عنى ، على شدة رغبتي في أن أستمع إليه والتمس المزيد مما يشجيه ... والحق أن هذه العبارات اليسيرة كانت غامضة لم تحسر لي عن طواياها نفسه . وكل ما خلته ساعتذاك أن امتناعه عن التفكير بالزواج عائد إلى هذا الخوف الغامض الذي تمتلىء به نفسه من الخيانة ... ومن المرأة ... ومن الجمال ... ومع ذلك فهو لا يلتمس غير المرأة وغير الجمال ! إنه دون ريب لا يعي هذا الخوف ، ولو كان يعيه لما غرق في هذه الحيرة التي تجعله تائهاً في خضم الحياة ...

* * *

ثم وقع صديقي رفيق ذات يوم فجأة في مرض أقعده زهاء ثلاثة أسابيع في داره . وقد عدته في هـــذه المدة غير مرة ،

وكان يشكو « الدوسنطاريا » ، ولكني أيقنت أن مرضاً نفسياً هو الذي أودى بصحته . وإنه كان يشكو عقدة توهن قواه .

وفي تلك الفترة ، عادت جراحات الذكرى تدمي روحه وضميره وتوهن أعصابه ، ثم صارحني بعزمه على أن يهجر البلاد ويسافر إلى أوربا . فإذا وجد راحة لنفسه استقر فيها ، وإلا عاد بعد أن يكون قد التمس من العزاء والتفريج قدراً كافياً للانطلاق في طريق جديدة من طرق الحياة .

ولم أجد أنا مبرراً لأن أقنعه بالبقاء ، بل لقد شعرت بأن علي أن أحثه على مغادرة الجو الذي فجع فيه بعاطفته البكر ، فلعله إذ يبتعد عنه يسلو ويتعزى ... ولعله يجد هناك — في أوربا — المرأة الجميلة الرائعة التي تمحو من قلبه ونفسه صورة الفتاة الأولى التي يخيل إليه أنه لن يلقى أجمل منها ...

وكان هذا العزم أزال طرفاً من الحيرة التي كانت تقلق حياة رفيق ، فإذا البشر يعاوده ، وإذا سيماء المرح تشيع على محياه ، وإذا هو يشفى من نكسته في وقت يسير ، ويأخذ بعد عدته للسفر إلى بلاد الغرب .

ولكنه ما لبث أن فاجأني يوماً بأنه قد عدل عن السفر ، وأنه لا ينوي أن يغادر بيروت . وحين سألته تعليل هذا الانقلاب ، دعاني إلى تناول الغداء معه ذلك اليوم ، ووعدني أن يزيل فضولي إذ أوافيه إلى داره عند الظهيرة . وجعلت أترقب حلول موعد اللقاء ، وبي عجب لا ينقضي ، ورحت أتساءل : لعل رفيق لقي فتاة حظي جمالها من إعجابه بما لم يحظه جمال سابقاتها الثلاث ! أو لعل « مها » نفسها عادت إليه تستغفره ، فصفح عنها ، واستسلم لجمالها الطاغي ؟ ...

وظللت في حيرة وتساؤل شديدين حتى بلغت داره عند الظهر فاستقبلني بترحاب لم أعهده منه ، وما عتم أن دلف بي إلى غرفة الطعام ...

—

وسرعان ما لاحظت أن المائدة كانت قد أعدت لثلاثة أشخاص ، وابتسم رفيق إذ أدرك أني لاحظت ذلك ... ولكنه امتنع عن أن ينبس بحرف .

وإن هي إلا برهة وجيزة حتى قطع صمتنا وقع خطى متجه إلينا ، وقبل أن يتاح لي أن ألتفت إلى مصدر الصوت ، كان رفيق قد نهض مرحباً ...

وحين عدت إلى الجلوس ، بعد أن جلست هي ... كنت ملتاث الحس ، مختلط الذهن ، أكاد لا أميز معاني الأشياء .

لقد كانت هي ... علياء ، خادمة رفيق ...

يا إلهي ... إنها هذه الفتاة التي لم تكن تمتاز بأي حظ من الجمال ... هذه الفتاة التي كانت تخدمه في إبان مرضه ، فلم أكن أوليها نظرة من نظراتي . إنها خادمته ... خادمته ...

وانتزعني هو من وحدة التفكير المضني ، حين سمعته يقول لي :

— إنها علياء ... وقد عرفتها ولا ريب ... لقد خطبتها أمس.

وكنت مطرقاً ببصري إلى المائدة لا أرفعه إليه ، حتى رأيت يده تمتد إلى منبسطة تبغي المصافحة ، وسمعته يسألني :

— ما بالك ... ألا تهنئني يا صلاح ؟

فلم أستطع إلا أن أنظر إليه ...

وسرعان ما أحسست بكفي تمتد إلى كفه ، فتصافحها ، ثم تشد عليها بحرارة ، بينما كنت أتطلع في عينيه .

لأول مرة منذ عرفت رفيق ، قرأت في عينيه الطمأنينة والاستقرار .

(بيروت) سهيل إدريس

ظهرت الطبعة الحادية عشرة المزيدة المنقحة الصحيحة من كتاب

تاريخ الأدب العربي

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هـذا العصر بأسلوب قوي ، واستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

اطلبه من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة في مصر والخارج وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حـــديد الحكومة المصرية

عرض الإعــــلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية خصصتها لعرض الإعـلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر في تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية.

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع في السنة وهي قيمة زهيدة تـكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعـلان الذي يتصفحه آلاف المسافرين في اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة